لماذا يغير المرء عقيدته؟

بقلم
د. أمير علي الحداد

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأصلي وأسلم على خير البرية محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنته إلى يوم الدين.. أما بعد:

الجميع يعلم يقيناً أن نهاية هذه الحياة.. الموت.. لا خلود في هذه الدنيا.. فلا يختلف اثنان على أن الموت حق.. كتبه الله على جميع خلقه.

هذه الحقيقة يراها المؤمن والملحد.. ولكن.. ماذا بعد الموت؟!.. بعد الموت حياة برزخية مؤقتة.. وبعدها حياة سرمدية خالدة..

فالعاقل من أعد لتلك الحياة الخالدة..

﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ (الشورى).

ولا عدة لذلك اليوم أعظم عند الله من توحيده سبحانه وتعالى.

مهما اجتهد العابدون.. ومهما انقطع الزاهدون.. ومهما عمل العاملون.. لا شيء أحب إلى الله من الموت على التوحيد الصحيح... لا شيء أعظم من تحقيق (لا إله إلا الله)...

هذه الكلمة التي خلق الله لأجلها السماوات والأرض... وأرسل الرسل جميعاً وأنزل الكتب جميعاً... (لا إله إلا الله).. من حققها دخل الجنة.. خالداً فيها.. ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ ومن نقضها دخل النار.. خالداً فيها.. ﴿وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾..

في هذا الكتاب.. اجتهد الكاتب أن يجمع شيئاً يسيراً من الأسباب التي

تدفع الإنسان ذا الفطرة السليمة للبحث عن العقيدة الصحيحة والإيمان الصحيح بالله عز وجل..

إن الموت على عقيدة باطلة.. ناقضة لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) والاحتجاج بضلال الآباء.. وفساد المجتمع وانتشار الشرك... ليس بحجة عند وقوف العبد أمام الله عز وجل... وذلك أن الله أقام الحجة على البشر جميعاً قبل خلقهم.. ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ (الأعراف).

وأرسل الرسل من لدن نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً... وأقام الحجة على الجميع...

فمن اتبع فطرته السليمة... وأخلص في البحث عن الحق.. فإن الله ييسر له أسباب الوصول إلى تحقيق كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)... هذه الكلمة التي جاء بها جميع الرسل... ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ (الأنبياء).

فالدين الذي جاء به جميع الأنبياء دين واحد... توحيد الله عز وجل وتحقيق (لا إله إلا الله)...

لذلك جعل الله الدين الذي يقبله.. ديناً واحداً فقط.. ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ (آل عمران).

إن العبد مسؤول أمام الله عن جميع أعماله التي عملها في الدنيا... وأول عمل وأعظم عمل وأهم عمل للعبد في حياته أن يحقق:

(لا إله إلا الله)... ولا يقع فيما ينقض هذه الكلمة العظيمة..

في هذا الكتاب تجارب حياتية لأناس هداهم الله إلى الحق وقد نشأوا في بيئة شركية.. ونقاشات مع أناس أبوا أن يقبلوا الحق.. وارتضوا الحياة على الشرك..

(لماذا يغيّر المرء عقيدته؟)...

إن الإجابة على هذا السؤال هي... لكي يحقق (لا إله إلا الله)...

... من مات على هذا دخل الجنة ومن مات على نقيضه دخل النار..

أسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله سبباً في هداية أحدهم في مشارق الأرض أو مغاربها.. وأن ينفع بهذا الكتاب من كتبه.. في حياته وبعد مماته.. وأن يشفع لكل من ساهم في نشره لنيل مغفرة الله ورحمته والفوز بالجنة والنجاة من النار..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه الفقير إلى رحمة ربه
د. أمير علي الحداد
رمضان ١٤٣٨هـ
يونيو ٢٠١٧م
الكويت

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (١)

قبل أكثر من ثلاثين سنة، كتبت حواراً دار بيني وبين بعض طلبتي عنونته بذات عنوان مقال اليوم... وكانت خاتمة ذاك المقال: (هذه مشكلتك ومشكلة الكثيرين أنهم لا يعرفون عقيدتهم وما تحتويه المراجع المعتمدة عند علمائهم)... بعد كل هذه السنين سألني أحد أصدقاء أخي غير الشقيق ذات السؤال... (**لماذا غيرت عقيدتك؟**).

كنا خارج مجلس عزاء أحد أقارب أخي..

ـ هذا السؤال تطول إجابته ولكن دعني أبيّن لك بعض الدوافع القوية.

أولاً: تعلم أننا مسؤولون يوم القيامة، ومحاسبون... فهو (يوم الدين).. أي يوم الجزاء بعد الحساب.. وكل منا سيقف بين يدي الله... أي أمام الله.. فرداً... لا والد معه ولا ولد... ولا إمام .. ولا شيخ.. ولا رسول... ولا ملك... بمعنى أننا مسؤولون كأفراد عن أعمالنا وأولها العقيدة... هل تتفق معي على هذه النقط؟!

تردد أن يجيبني... ثم قال:

ـ لا أعلم... ولكن دعني أجاريك بأن أقول إني أتفق معك...

ـ لا أريدك أن تجاريني... أريد أن تجيبني بصدق.. وإلا فلا فائدة من نقاشنا...

ـ بصراحة.. لا أعلم.. ولكن أظن أن أئمتنا ينفعوننا يوم القيامة...

ـ جيد... هذه بداية جيدة... وذلك أن أحد الأسباب التي دفعتني لتغيير عقيدتي... أنني قرأت وبحثت وسألت واستمعت وحضرت واجتمعت مع كثير من أهل العلم دون تفريق حتى أتأكد أن عقيدتي صحيحة... ووصلت إلى قناعة وعقيدة ويقين... أن لا أحد سيكون معي عند الحساب... ابتداء من قول الله تعالى:

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ (عبس).

بل أشد من ذلك أنه يود أن يعذبوا وينجو هو:

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ (المعارج).

وهذه الآيات نقرأها أنت وأنا في المصحف... بل دعني أذكر لك تفسير قوله تعالى:

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ (مريم).

أي يأتي في الآخرة وحيدا بلا مال ولا ولد ولا عدة ولا عدد (بحار الأنوار – المجلسي – الجزء السابع)...

وعلى أية حال... كل واحد منا مسؤول أمام الله عن أعماله... فإذا كان الأب لا ينفع ابنه ولا الابن ينفع أباه... فمن باب أولى غيرهم.

أومأ برأسه غير متفق معي...

ـ لنتجاوز هذه النقطة...

ـ لك ذلك... فالقضية الأولى التي كانت تؤرّقني دائماً منذ الصبا... أن عقيدة كل منا قضية مصيرية يجب أن يتعب فيها ليصل إلى الحق... وذلك أنه مسؤول عنها أمام الله يوم القيامة... ويتحدد مصيره النهائي: جنة أو نار... شقي أم سعيد... على هذه العقيدة.

وأغلبنا... يعتنق عقيدة آبائه... وعندما تقرأ القرآن الكريم تجد آيات كثيرة من كتاب الله أنَّ من يعتذر بعقيدة الآباء... لا يُعذر أمام الله يوم القيامة... قوم إبراهيم عليه السلام... عندما سألهم:

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الشعراء).

وعموم الكافرين كان قولهم:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الزخرف).

– هذا عن الذين كفروا بالرسل... وليس الذين يؤمنون بالله ورسوله.

– أحسنت... النقطة التي أريد أن أصل إليها أن أحدنا يجب أن يبحث بنفسه عن العقيدة التي يؤمن بها ويعتنقها ويبني دينه عليها.. ودائماً أذكر هنا قصة إسلام (سلمان الفارسي) فيها من العبر الشيء الكثير... هل تعرف تفاصيلها؟

– كلا... ليس بالتفصيل ولكن على العموم...

– دعني أذكرها لك في طريق عودتنا... ولكن قبل ذلك أريد أن نتفق... أن أحدنا يجب أن يبحث بنفسه ويتأكد... ويكون على يقين أن ما يعتقده ويؤمن به.. هو ما يريده الله ويرضاه حتى إذا وقف أمام الله يوم القيامة للحساب تكون لديه الإجابات الصحيحة....

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٢)

في طريق عودتنا من مجلس العزاء، وكنا أربعة نفر في مركبة أخي... تابعت حديثي مع صديق أخي.

- دعني أذكر لك قصة سلمان الفارسي، هذا الصحابي الجليل الذي قال فيه الرسول ﷺ

- قاطعني.

- (سلمان منا أهل البيت)...

ابتسمت لسرعة إجابته.

- هذا الحديث مشهور، ولكنه لا يثبت عن الرسول ﷺ، وهو (ضعيف جدا) في حكم العلامة الألباني - رحمه الله - ولكنه يثبت موقوفا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

استغرب هذه المعلومة.

- لا أكاد أحضر مجلساً إلا ذكره العلماء في الدروس والمواعظ.

- هذه طامة أخرى أن يكون من يتصدر المجالس لا يعرفون الحديث الصحيح من الضعيف جداً.

- لنرجع إلى موضوعنا، لقد قال الرسول ﷺ في سلمان حديثا أفضل من هذا... استمع إلى هذا الحديث الصحيح:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ؛ إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ (الجمعة)، قال رجل: مَنْ هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً، قال: وفينا سلمان الفارسي قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: «**لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء**» يعني سلمان الفارسي. (صحيح)، وقد صح بلفظ آخر وهو: «**لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس، أو قال: من أبناء فارس حتى يتناوله**» أخرجه مسلم وأحمد، وله طرق أخرى، عن أبي هريرة قال: إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ (محمد)، قال: يارسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ قال: فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم قال: «هذا وقومه»، وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «**رأيت غنماً كثيرة سوداء دخلت فيها غنم كثيرة بيض**»، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «**العجم يشركونكم في دينكم وأنسابكم**»، قالوا: العجم يا رسول الله؟ قال: «**لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من العجم وأسعدهم به الناس**» (صحيح)، وأما الشطر الثاني من الحديث فهو في الصحيحين وغيرهما.

– حديث جميل... وصحيح... ومفخرة لكل العجم...

– دعني أبين لك أن العجم لا تعني (الإيرانيين)... بل كل من لا يتكلم العربية... ولكن في هذا الحديث مدح لسلمان وقومه... ونعلم أنه كان فارسياً.

– وما قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه...؟

– قصة سلمان رضي الله عنه تصلح إجابة عن سؤالك: (لماذا يغير المرء عقيدته)؟

خذ القصة من سلمان نفسه... يقول: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان، من أهل قرية يقال لها: (جي)، وكان أبي دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته، أي ملازم النار كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار التي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة، قال: فشغل في بنيان له يوما، فقال لي: يا بني إني قد شغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي؛ فاذهب فاطلعها... وأمرني فيها ببعض ما يريد؛ فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم، دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، قال: فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصْلُ هذا الدين؟ قالوا: بالشام، قال: ثم رجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، قال: فلما جئته قال: أي بني، أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت: يا أبت مررت بناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك وأجدادك خير منه، قال: قلت: كلا والله إنه خير من ديننا، قال: فخافني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته.

قال: وَبَعَثْتُ إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، قال: فأخبروني بهم، قال: فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم، فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، قال: فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك، أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك وأصلي معك، قال: فادخل فدخلت معه، قال: فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء، اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وَوَرِق، قال: وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعَت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً، قالوا: وما علمك بذلك؟ قال: قلت: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدلَّنا عليه، قال: فأريتهم موضعه، قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً ووَرِقاً، قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً، فصلبوه، ثم رجموه بالحجارة، ثم جاؤوا برجل آخر فجعلوه بمكانه .

قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلاً يصلي أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه، قال: فأحببته حباً لم أحبه أحداً مِن قبله، وأقمت معه زماناً، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان! إني كنت معك، وأحببتك حباً لم أحبه أحداً من قبلك، وقد حضرك ما ترى من

أمر الله، فإلى مَنْ توصي بي؟ وما تأمرني؟، قال: أي بني! والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصِل وهو فلان، فهو على ما كنت عليه فالْحَقْ به . قال: فلما مات وغُيب، لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات، فما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان! إن فلاناً أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من الله – عز وجل – ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟، قال: أي بني! والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين[1]، وهو فلان فالحق به .

فلما مات وغُيب، لحقت بصاحب نصيبين، فجئته فأخبرته بخبري وما أمرني به صاحبي قال: فأقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبثت أن نزل به الموت، فلما حُضِر قلت له: يا فلان! إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟، قال: أي بني! والله ما نعلم أحداً بقي على أمْرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية[2]، فإنه بمثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، فإنه على أمرنا .

قال: فلما مات وغيب، لحقت بصاحب عمورية، وأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت مع رجل على هدي أصحابه وأمرهم، قال: واكتسبت

(١) تقع حالياً ضمن حدود تركيا.
(٢) مدينة في الأناضول.

حتى كان لي بُقَيْرَاتٌ وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان! إني كنت مع فلان، فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان بي إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني! ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي، هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

قال: ثم مات وغُيب، فمكثت بعَمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كَلْبٍ، تُجَّارٌ، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟، قالوا: نعم، فأعطيتموها، وحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني، فباعوني من رجل من اليهود عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل، ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها .

وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لَفِي رَأْسِ عِذْقٍ لِسَيِّدِي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: فلان! قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقِباء، على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي، قال: فلما سمعتها أخذتني العُرُواء حتى ظننت

أني سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟! ماذا تقول؟! قال: فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك، قال: قلت: لا شيء إنما أردت أن أستثبت عما قال، وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا، وأمسك يده فلم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئت به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان . ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد، قال: وقد تبع جنازة رجل من أصحابه، عليه شملتان له، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله – ﷺ- استدبرته، عرف أني استثبت في شيء وصف لي، قال: فألقي رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: تحول، فتحولت، فقصصت عليه حديثي – كما حدثتك يا ابن عباس.

قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد .

قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: كاتِبْ يا سلمان، فكاتبتُ صاحبي على

ثلاث مئة نخلة أحييها له بالفقير بأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ: أعينوا أخاكم ، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر حتى اجتمعت لي ثلاث مئة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان! ففقر لها ، فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي، ففقرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي، ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقي علي المال، فأتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال: فَدُعِيتُ له، فقال: خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان!، فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ؟، قال: خذها، فإن الله – عز وجل – سيؤدي بها عنك، قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها – والذي نفس سلمان بيده – أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد.

أعجب صاحبي بروايتي المفصلة لقصة إسلام سلمان الفارسي... عقبت عليها..

– هكذا ينبغي أن يخلص العبد في البحث عن الحق... ووسائل البحث أيامنا هذه ميسرة.. تطوف العالم وأنت في منزلك... إني أكاد أقسم بالله أنه من أخلص في معرفة الحق وبحث صادقاً ودعا الله ... فإن الله سيشرح صدره للحق الذي يحبه الله عز وجل... ومن قصر فلا يلومن إلا نفسه...

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٣)

ـ إن خير من يجيب على هذا التساؤل هو سلمان الفارسي رضي الله عنه هذا الصحابي الجليل كان يعيش في أصفهان.. لا يتكلم العربية.. بدأ يبحث عن الحق... بصدق وإخلاص... فخرج من قرية (جي) في اصفهان... إلى الشام... ثم إلى الموصل... ثم إلى نصيبين في تركيا... ثم إلى عمورية... ثم إلى أطراف المدينة... حيث بيع عبداً لأحد اليهود... وكان في قريته ابن أكبر تاجر... وفي بيت عز ورفاه... ثم يكاتب سيده ليعتقه من الرق ويكون مع الرسول ﷺ... في جميع غزواته ابتداء من الخندق... وحتى وفاته في أوائل عهد عثمان بن عفان... سنة ٢٤هـ... ودفن في العراق... أسألك.

(لماذا تكبد سلمان كل هذا العناء... والعذاب... والعبودية... مع أنه كان في بيت عز ورفاه)؟

إنه البحث عن الحق... ووفقه الله إلى الحق...

كنت في مجلس (ديوان) أحد رواد مسجدنا... استضافني بعد صلاة العشاء يوم الأربعاء... وكنا قد انتهينا من الدرس وبدأنا فترة الأسئلة والتعليقات.. بدأ صاحب الديوان (عصام) بوعبدالله...

ـ لا شك أن هذا النموذج فريد من نوعه... ونادر أن يتكرر خاصة أيامنا هذه...

ـ أخالفك الرأي يا أبا عبدالله... إن البحث عن الحق ينبغي أن يكون في قلب كل أحد... وهو موجود... ولكن بعضنا يفعِّله... وكثير منا.. يميته..

بتزيين من الشيطان... وأحدنا في أيامنا هذه لا يحتاج أن يرتحل آلاف الأميال.. ولا أن يسافر الأشهر والسنوات... بل يستطيع أن يبحث عن الحق وهو في بيته... ولمدى سويعات كل يوم... ولكن نحتاج إلى الصدق والإخلاص مع الله عز وجل مع الدعاء وبذل الأسباب..

بدأ الخدم إعداد العشاء في الغرفة الأخرى التي يفصلنا عنها باب واسع مفتوح...

ـ أظن أن أول ما يجب على المرء التخلص منه.. هو قبول مذهب الآباء والأجداد دون تفكير... فيتعلم المرء أصول الدين من العلماء... دون أن يجعل لأي عالم قدسية... بمعنى أن ليس هناك عالم إلا ويخطأ ويصيب... ويمكن أن يأخذ منه أو يتركه... لا بهواه ورأيه... ولكن بالمقارنة مع علماء آخرين... فيأخذ من العلماء ما هو أقرب لآيات الله وأحاديث النبي ﷺ... وهنا قضية أخرى هامة... وهي (التجرد عن الهوى).

فلا ينبغي أن يقرأ لعالم لمجرد أنه من بلده... أو لأنه يحبه... بل يقرأ للجميع بعقل متفتح... ويسأل... ويناقش ويقارن ويسأل الله دائماً الهداية والسداد... استأذن أحدهم أن يعقب.

ـ ولكن أحدنا لا يستطيع أن يقارن بين أقوال العلماء بل أحدنا لا يقرأ الكتب ولا يبحث في المراجع... نريد شيئاً جاهزاً نتبعه... هذا الذي تقول يتطلب حداً أدنى من العلم والمعرفة لا نملكها نحن...

أعجبني طرحه الصريح...

ـ نعم.. معظمنا من العامة... لا نملك الأدوات المطلوبة للبحث والمقارنة... ولكن ينبغي أن نملك الحد الأدنى من العلم بأركان العقيدة... بمعنى أن نعلم أركان الإيمان... الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره من الله... وكذلك نواقض أركان الإيمان... بمعنى ما هي الأمور التي تنقض ركناً من أركان الإيمان... وهذه سهلة ميسرة في كتيبات صغيرة... وكذلك أركان الإسلام... الشهادتان الصلاة الصيام الزكاة الحج... وهنا نقطة ينبغي أن أبينها... وهي أن الرسول ﷺ بُعث في أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب... وبُعث في قوم كانوا يعبدون الأصنام... فكان ﷺ يأمرهم بعبادة الله وحده... ويتقربوا إلى الله وحده... ويعلمهم ما يحتاجون من أمور العقيدة... بأن الله واحد... لا ولد له ولا أب ولا صاحبة... وليس كمثله شيء... وأنه سبحانه أحد صمد... لا يأكل ولا ينام ولا يعجزه شيء أبداً... فلا ينبغي أن يُعبد غيره ولا يُدعى غيره ولا يعبد شيء معه... وأن الملائكة عباد الله ليسوا بناته... وأنهم يعبدون الله ويفعلون ما يؤمرون... وأن البعث حق... وأن الجنة حق وأن النار حق... وأن الموت ليس نهاية الإنسان... هذه قواعد بسيطة.. لا تحتاج إلى فلسفة.. ولا إلى جدل فكري ولفظي... وأن لا أحد ينفع أحداً ولا أحد يغني عن أحد... وأن الجميع سواء أمام الله.. وأن الله يوفي الجميع أعمالهم فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها...

ـ أعلن صاحب الديوان أن موعد العشاء سيكون بعد خمس دقائق.

ـ أقول هذه القضايا الكلية... إذا عرفها الإنسان فطبقها وعرف ما ينقضها ليتركه، فإنه على خير.. مثلاً قولنا (لا إله إلا الله)... ما الذي ينقض هذه

الكلمة العظيمة التي هي أثقل من السماوات والأرض وأعظم سبب للنجاة يوم القيامة... الذي ينقض (لا إله إلا الله).. أن يدعو العبد غير الله... أن يسجد لغير الله تعبداً... أن يذبح لغير الله تقرباً... أن يسأل غير الله حاجة اختص الله بها.. (المغفرة، الجنة، الرزق، ... الشفاعة)... أن يتعلق قلبه بغير الله توكلاً ويقيناً وطاعة ورجاء... هذه القضايا يجب على العبد أن يتعلمها حتى لا يقع فيما ينقض (لا إله إلا الله).

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٤)

ـ أظنني كنت دون السابعة من عمري... ركبنا البحر نريد الضفة الشرقية من الخليج العربي... كانت بداية الرحلة جميلة.. كنت أصغر إخوتي مع الوالد والوالدة.. وعائلتان.. أخريان.. أي شيء يرتبط بالبحر يسعدني... الجلوس على الشاطئ.. مشاهدة حركة تغطيته للرمال وانحساره منها.. التجوال في القارب على صفحته الهادئة.. مراقبة أمواجه العالية.. كل شيء في هذا المخلوق يؤثر في.. حتى أنني أشعر بالانتماء إلى البحر!!!

كنت أحدّث صاحبي ونحن جلوس على الشاطئ.. نحتسي الشاي بعد صلاة عصر الجمعة..

ـ في تلك الرحلة... وهي إحدى رحلتين.. لا زلت أذكرهما جيداً من طفولتي... الثانية كانت بالبر... أحدثك عنها فيما بعد... في تلك الرحلة هاج البحر بعد عشر ساعات من مغادرتنا الميناء... ارتفعت الأمواج.. أمرنا الربان أن ننزل إلى الاسفل.. بدأت المياه تدخل المركب مع تمايله... اجتمعنا كلنا في الأسفل... عدا البحارة كانوا في الأعلى يتعاملون مع الوضع الصعب على السطح... بدأ رب إحدى العائلتين ينادي بصوت مسموع (يا الله... يا محمد... يا علي.. يا محمد.. يا علي...) وخلال دقائق ارتفعت أصوات الجميع... تردد ذات الاستغاثة.. لم أكن أدري ما الذي يجب أن أفعله.. بعد فترة من الزمن... وقبل أن نخلد إلى النوم كانت الأمور قد هدأت.. وصعدنا إلى السطح العلوي ... فإذا السماء قد ازدانت بالنجوم... ونسائم البحر الصيفية الهادئة تحمل عطراً يبعث على

الطمأنينة... والانتعاش.. أذكر أننا قضينا تلك الليلة على السطح العلوي.. وكانت من أجمل الليالي.. ربما لأنها أتت بعد هلع أصاب الجميع.. خلال تلك العاصفة..

ـ ولا زلت تذكر كل هذه التفاصيل؟!

ـ نعم... واليوم أقرأ بعض الآيات.. وبعض الأحاديث وأعجب لحال آبائنا.. بل وأشفق عليهم مما كانوا فيه...

ـ ماذا تعني؟!

مر علينا أحد جيراننا.. يتريض.. دعوناه لتناول الشاي.. اعتذر لرغبته في متابعة رياضته قبل أذان المغرب.. تابعنا حوارنا..

ـ مثلاً قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ (الإسراء).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾ (لقمان).

وحديث عمران بن حصين يقول: أتى أبي حصين إلى رسول الله ﷺ ـ وكان حصين على الكفر ـ فقال له الرسول ﷺ: (كم تعبد اليوم إلهاً) قال: سبعة.. ستة في الأرض وواحداً في السماء... قال له الرسول ﷺ: أيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء. قال الرسول ﷺ: يا حصين إن أسلمت علمتك كلمتين ينفعانك.

وبعد فترة أسلم حصين فأتى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني... قال: «**قل اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي**». (ذكره الألباني في ضعيف الترمذي).

فكان المشركون في عهد النبي ﷺ.. يعبدون هذه الآلهة مع الله عز وجل، ولكن إذا اشتدت بهم الأمور لجأوا إلى الله وحده وتركوا آلهتهم.. لأنهم يعلمون يقيناً أنها لا تنفعهم ولا تضرهم... ولكن كانت عبادتهم إياها لتقربهم إلى الله... بمعنى أنها مجرد واسطة إلى رب العالمين.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ (الزمر).

ومع ذلك... أي مع أنهم كانوا يلجأون إلى الله في الشدائد... وأنهم ما كانوا يعبدون الأصنام اعتقاداً بقدراتها ونفعها وضرها... وإنما كواسطة إلى الله لأن الأصنام كانت رموزاً لأشخاص صالحين وأولياء متقين... مع كل هذا.. حكم الله بكفرهم وخلودهم في النار وبعث فيهم محمداً ﷺ لينتهوا من اتخاذ شيء واسطة إلى الله فيتقربون إليها بغية الوصول إلى الله...

سألني مستغرباً...

ـ هل كانت الأصنام حقاً تمثل رموزاً لأشخاص صالحين؟! وربما أولياء متقين؟ كنت أظنها مجرد حجارة على هيئة بشر...

ـ نعم هكذا كانت الأصنام... ألا تعرف كيف بدأت عبادة الأصنام عند العرب وفي مكة خصوصاً؟!

ـ كلا...

ـ دعني أحدثك بها ونحن في طريقنا إلى الشاليه لنستعد لصلاة المغرب، الذي جلب الأصنام إلى بلاد العرب هو عمرو بن لحي... واسمع قصته.

عمرو بن لحي كان من خزاعة وكان سيد مكة وبالتالي كان من سادات العرب، يعد أول من غيّر دين إبراهيم الحنيفية والذي كان يقوم على توحيد الله، حيث أنه أدخل الأصنام لتعبد من دون الله بالجزيرة العربية. قال رسول الله ﷺ : «**رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار**» يعني أمعاءه، (متفق عليه).

حين قدم عمرو بن لحي بلاد الشام رآهم يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله، استحسن ذلك وظنه حقاً، وكانت الشام آنذاك محل الرسل والكتب السماوية، فقال لهم:

ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: ألا تعطوني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه ؟ فأعطوه صنماً فجلبه معه.

وأما صنم هبل فكان لبني كنانة وقريش وقد ذُكر عنه أنه كان له رئي من الجن، فأخبره أن أصنام قوم نوح ـ ودّاً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً ـ مدفونة بجدة، فأتاها فاستثارها، ثم أوردها إلى تهامة، فلما جاء الحج دفعها إلى القبائل، فذهبت بها إلى أوطانها.

فأما ودّ: فكان لكلب، بجرش بدومة الجندل من أرض الشام مما يلي العراق. **وأما سواع**: فكانت لهذيل بن مُدْرِكة بمكان يقال له: رُهَاط من أرض الحجاز، من جهة الساحل بقرب مكة. وأما **يغوث**: فكان لبني غطيف من بني مراد، بالجُرْف عند سبأ. وأما **يعوق**: فكانت لهمدان في قرية خَيْوان من أرض اليمن، وخيوان بطن من همدان. وأما **نسر**: فكان لحمير لآل ذى الكلاع في أرض حمير.

وهكذا انتشرت الأصنام في جزيرة العرب حتى صار لكل قبيلة منها صنم، ولم تزل تلك الأصنام تُعبد من دون الله، حتى جاء الإسلام، وبُعث محمد بن عبد الله ﷺ، فقام بتطهير البيت الحرام من الأصنام، وبعث السرايا لهدم البيوت التي أقيمت للأوثان، فبعث خالد بن الوليد لهدم بيت العزى وهي الطاغوت الأعظم لدى قريش بمنطقة نخلة، وبعث سعد بن زيد لهدم بيت مناة التي كانت على ساحل البحر الأحمر، وبعث عمرو بن العاص إلى سواع التي تعبدها هذيل، فهدمت جميعها، وصارت مكة رمزاً لتوحيد الله ورمزاً لعبادة الله وحده إلى يوم القيامة بإذن الله.

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٥)

ابنة جاري كانت طالبة في مقرر أدرسه بالجامعة منذ أكثر من عشرين سنة... تخرجت.. تزوجت... انتقلت من جوارنا... إلتقيتها في طريقي إلى المسجد جالسة بجانب والدها أمام منزله...

بعد التحية سألتها عن أحوالها... الاجتماعية...

ـ الحمد لله رزقني الله ثلاث بنات... نذرت بعدها أن أزور «العباس» إن رزقني الله ولداً ذكراً... والحمد لله... استجاب لي «قاضي الحاجات»... وسوف أفي بنذري وأزور العباس عليه السلام مشياً بعد عشرة أيام...

ـ وماذا اسم ابنك حتى أناديك (بأم....)..

ـ أسميته العباس...

ـ بارك الله لك يا أم عباس...

ـ كلا... (العباس).. وليس عباس...

ابتسمت معتذراً...

ـ آسف قصدي (أم العباس)... وليس (أم عباس)... ولكن من الذي قضى حاجتك برزق (العباس)....

ـ الله سبحانه وتعالى هو الذي رزقني (العباس) ولكني توجهت إلى العباس وسألته شفاعته عند الله... لكي أرزق بالولد... ونذرت له... أن أزوره مشياً... وأذبح عند قبره شاتين...

ـ ولماذا لم تتوجهي إلى الله مباشرة؟!

ـ إن مكانة (العباس) عند الله عظيمة فإذا توجهت إلى الله من خلاله فإن ذلك أقرب لقضاء حاجتي...

ـ ولماذا لم تتوجهي إلى الرسول ﷺ الذي هو أقرب إلى الله وأعلى منزلة من العباس... وتكون حاجتك أقرب للتحقق؟!..

سكتت هنيهة... رد والدها.. بوناصر...

ـ معروف أن الذي لديه حاجة ينذر للعباس... ويسأل الله أن يقضي حاجته... وكل شيء من عند الله وليس من عند أحد وهذا أمر معروف.

ـ ماذا تعني بمعروف؟... هذا شيء علمته أنت من والدك... وعلمته ابنتك أليس كذلك؟... لماذا لم تتساءل.. هل الرسول ﷺ أقرب إلى الله أم العباس؟! إذا كنا نريد الأقرب إلى الله والأعظم منزلة عند الله... فلنتوجه إلى قبر الرسول ﷺ... وننذر هناك... ونسأل الرسول ﷺ... أن يشفع لنا عند الله... هذا هو العقل...

ـ ولكنهم لا يتركوننا نفعل شيئاً عند قبر الرسول ﷺ...

أجابتني هبة...

ـ ليس هذا هو السبب... أليس كذلك؟! ... ثم ما قصة الذهاب مشياً لزيارة (العباس)؟!

ـ هناك روايات ثابتة في أجر الزيارة مشياً وإليك بعضها..

عن الإمام الصادق – عليه السلام – من زار أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجة وعمرة فإن رجع ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين... (فرحة المغري)...

وفي عقيدتنا أن المشي إلى العتبات المقدسة كالمشي إلى مكة المكرمة...

وفي تهذيب الأحكام للطوسي ٦: ٥٣ (من اغتسل في الفرات ثم مشى إلى قبر الحسين عليه السلام كان له بكل قدم يرفعها ويضعها حجة متقبلة بمناسكها).

والروايات الصحيحة... أن زيارة قبر الحسين خير من ثلاثين حجة... وبعضها خير من خمسين حجة مقبولة مبرورة مع رسول الله ﷺ، حتى ألف حجة... ففي كتاب وسائل الشيعة للحر العاملي الجزء (١٠ ص ٣٤٧)... عن أبي عبد الله جعفر الصادق... قال: (ومن زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر...

استغربت حفظ (هبة) لكل هذه الآثار... مع المراجع...

ـ أرى أنك حفظت أدلة (فضل الزيارة): عن ظهر قلب...

ابتسمت

ـ نعم لكثرة ما أكررها... وأبيّنها للأهل والأصدقاء والمخالفات أيضاً...

ـ لدي مشكلة واحدة هنا...

ـ ما هي؟

ـ إن جميع ما ذكرت في فضل الزيارة ينسب إلى جعفر الصادق... ولا يصل إلى رسول الله ﷺ ... هذه واحدة... ثم نسبة هذه الروايات إلى جعفر الصادق مباشرة... دون ذكر سلسلة من يرويها عنه عليه السلام... وثالثاً... المعلوم من الدين بالضرورة، أن الحج من أركان الإسلام... وزيارة الحسين عليه السلام (على ما فيها من فضل) ليست من أركان الإسلام.. فكيف يتقدم شيء من السنن ومن (الواجبات) على شيء من الأركان والفروض... ثم إذا كانت زيارة قبر الحسين تعدل ألف حجة... فلا شك أن زيارة قبر أبيه أعظم... وزيارة قبر جده رسول الله ﷺ أعظم... فلماذا لا نزور قبر الرسول ﷺ وهو في بلد مقدس قدسه الله ولم يقدسه البشر... في المدينة المنورة... زادها الله شرفاً ومكانة... ومعلوم عند جميع المسلمين أن المسيح الدجال يعيث في جميع الأرض فساداً ويدخل جميع المدن عدا مكة والمدينة... فلا شك أن المدينة أعظم عند الله من سائر المدن والقرى... إذن المدينة أفضل من غيرها... وقبر الرسول ﷺ أعظم من غيره... فلماذا لم ترد رواية واحدة في أن زيارة قبر الرسول ﷺ أفضل من عشرين حجة لا ألف حجة...

هذه الأمور بحثت عنها... ولم أجد لها جواباً مقنعاً صحيحاً عند علماء القوم!!!

لهذا قد يغير المرء عقيدته لعدم وجود إجابات مقنعة على أسئلة عن أركان الدين..

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٦)

من أمتع ذكريات الطفولة.. رحلات القطار.. وخاصة تلك التي كنا نقضي فيها ليلة في القطار حتى ندرك وجهتنا.. كنت أستمتع بصوت عجلات القطار على القضبان الحديدية.. ورائحة الدخان.. واهتزاز العربات.. وكنت أحرص على أن أنام على السرير العلوي.. وأجلس قرب النافذة.. أراقب كل شيء.. وخاصة إذا مررنا بقرية.. كان كل شيء جميلاً في تلك الرحلات..

ـ وأين كان ينتهي بكم المطاف؟

ـ إلى مرقد الإمام علي بن موسى بن جعفر.. علي (الرضا) الإمام الثامن من الأئمة الاثنى عشرية..

ـ ولماذا كنتم تذهبون إلى مرقده؟

ـ لا أدري.. ولكني كنت أستمتع بالسهر في ساحات المرقد على ضوء الشموع... وربما بتنا ليلتنا هناك... ولكن دعني أروي لك من ذاكرتي بعض ما كنت أشاهد...

بالطبع عندما تدخل تخلع الحذاء وتسلمه لرجل يضعه في خانات مرقمة... ويعطيك رقماً... ثم تدخل من باب كبير تمسح الباب أو حلقة من الحلقات المعلقة... وتمسح وجهك... والأرض كلها رخامية.. فاتحة اللون... وهناك عدة أبواب تؤدي إلى المرقد..

كنت أروي لصاحبي تجربتي ونحن في طريقنا إلى مركز المدينة لتناول العشاء في أحد المطاعم الشعبية..

ـ وأذكر تماماً أن بصري كان يتعلق بالأسقف التي كسيت بقطع من المرايا الجميلة ... وكلما اقتربت من الباب النهائي المؤدي إلى المرقد يزداد الزحام... فإذا تمكنت من اجتياز كل ذلك تصل إلى مرقد غطي بقماش أخضر... وأحيط بحاجز معدني فضي اللون على شكل شبكة... يتعلق الناس به... يدعون... يبكون... يبتهلون... يتضرعون... ومنهم من يحمل طفله... ليجعل يد الطفل تصل إلى هذا الحاجز المعدني... وهناك من يتنحى جانباً فيصلي أو يرفع يديه يدعو... كان همي ألا تفلت يدي من يد الذي كان يصحبني...

ـ وبعد ذلك؟!

ـ نخرج... ونتمسح بالأبواب... أو الحلقات المعلقة بها... وإذا أردنا الخروج... لا نولي ظهورنا للضريح... وإنما نستقبله ونرجع القهقهرى إلى الوراء حتى نخرج من الباب الأول ثم نعتدل في مشيتنا ونتجه إلى المخرج الذي دخلنا منه لأخذ أحذيتنا...

وربما أخذنا شرائط خضراء "تباع"... تربط بيد من له حاجة أو به فاقة.. رجاء شفائه...

ـ هذه العادة ـ ربط خرقة خضراء حول اليد ـ منتشرة في أماكن كثيرة وعند فئات متنوعة من المسلمين..

بلغنا المكان الذي نريد وطلب كل منا عشاءه...

تابعنا حديثنا..

ـ وربما يجتمع الناس في ساحة المرقد يهللون ويكبرون ويصلون على النبي صلى الله عليه وآله.. لحصول معجزة... ذات مرة حصل ذلك وعندما سألت قيل لي أن رجلاً أعمى منذ الولادة استعاد بصره بكرامة الإمام... ومرة أخرى قام عاجز وأخذ يمشي بعد أن كان مقعداً ثلاثين سنة... وهكذا ترى هذه الأمور بين فترة وأخرى...

ـ بمعنى آخر... هؤلاء الناس يقطعون المسافات... ويتحملون المشاق ليصلوا إلى مرقد الإمام الرضا... لزيارته... والنذر عند قبره... وطلب الحاجات عند ضريحه... أحدنا يتساءل... هل الدعاء أقرب للإجابة إذا كان عند قبر أحد الأئمة؟ أو حتى عند قبر الرسول ﷺ وهو لا شك خير من الأئمة!! وهل الدعاء يستجاب إذا نذر المسلم عند قبر الرسول ﷺ.. وهل الذنوب تغفر إذا تمسح المسلم بقبر الرسول ﷺ... فضلاً عن أن يتعلق بالسور المحيط بضريح الإمام؟... أسئلة ينبغي على المسلم أن يجد لها إجابات يقينية من القرآن والسنة الصحيحة... لا من روايات لا تتصل إلى رسول الله ﷺ لأن الذي يشرع لنا هو رسول الله ﷺ لأنه يوحى إليه ولا أحد أوحي إليه من السماء بعد رسول الله ﷺ أبداً...

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم).

– أتعلم ما هي وسيلة الشيطان الأولى في إغواء ابن آدم؟

– ما هي؟

– تزيين الباطل... وخاصة في العبادات... إن الشيطان تعهد أن يزين لبني آدم..

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (الحجر).

إن الشيطان يزين لصاحب البدعة بدعته... ولصاحب الشرك شركه... حتى يظن أنها من أعظم القربات إلى الله... ذلك الذي قتل أول الأئمة (علي بن أبي طالب عليه السلام)، قتله تقرباً إلى الله... وطاعة لأمر الله... وطلباً لدخول الجنة...

عندما ضرب ابن ملجم علياً بالسيف على رأسه كان يصرخ بأعلى صوته ويقول: (لا حكم إلا لله ليس لك يا علي ولا لأصحابك) وأخذ يتلو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ (البقرة).

ومدحه قومه (وكانوا أهل صلاة وتقوى) ولكن على ضلال..

يا ضربة من تقي ما أراد بها

إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً

وهكذا يزين الشيطان للإنسان التقرب إلى الله بما لم يشرعه الله... كالنذر عند القبور... والتمسح بالأضرحة والدعاء في المراقد... والذبح عند المشاهد.. وربما حصل شيء مما يريده العبد... فيزداد تمسكاً بضلاله والبعد عن جادة الحق... ثم يكون مآله إلى الحساب الشديد... والعذاب... وربما الخلود في جهنم إذا وقع في شيء من الشرك الأكبر.. وهذا غاية ما يريده إبليس والعياذ بالله.

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٧)

ـ كان لدينا في جزيرة فيلكا.. مزاراً يقال إنه أثر لرِجْل (الخضر)... الذي ورد ذكره أنه ذلك الرجل الصالح الذي أمر الله موسى أن يتبعه ويتعلم منه كما في سورة الكهف...

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ (الكهف).

ـ من أين أتت تسمية هذا الرجل بـ(الخضر)؟

ـ من قراءاتي.. أن النبي (الخضر) هو إيليا بن ملكان بن عامر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح، وسبب تسميته بالخضر أنه اخضرت الأرض من حوله أو لأنه يلبس الأخضر من الثياب، أو لأنه جلس على فروة بيضاء فاخضرت... وأياً كان سبب التسمية أو الشخص... نعلم جميعاً أن موسى بن عمران عليه السلام خير منه وأعلى منزلة عند الله... فهو من أولي العزم من الرسل والخضر أو الولي الصالح الذي اتبعه لا يعدو إلا أن يكون نبياً في أفضل الحالات...

ـ وهل زرت المقام الذي ينسب للخضر في (فيلكا)؟

ـ نعم... أظن أكثر من مرة وكانت من الرحلات البحرية الممتعة لنا في صغرنا... أذكر أننا في إحدى الرحلات اجتمعنا أكثر من خمس عوائل... نقلنا (بوم) – سفينة خشبية كبيرة – إلى الجزيرة... حيث إلتقيت (أم معاذ) زوجتي لأول مرة... وتزوجنا بعد خمس عشرة سنة!!!

ـ إذن لديك ذكريات جميلة مع مقام الخضر...

لم أعلق على مقولة صاحبي...

ـ الذي أذكره جيداً... أنه كان هناك قبر (سعيد وسعيدة) بجانب مزار الخضر... وكان كثير من أهل الكتاب يحرصون على زيارة هذا المقام لقضاء الحاجات والبرء من العاهات وكانت النساء اللاتي يردن الإنجاب يذهبن إلى المقام فيقمن بتلطيخ جدار المقام بالحناء حتى إذا جفت الحناء تأكلها المرأة للتبرك والعلاج وتقوم بعض النسوة بتعليق قطعة من القماش الأخضر لمدة ثلاثة أيام لتمنع عنهن نكبات الدهر...

كنت وصاحبي المصري نتمشى بعد أداء صلاة العشاء في شوارع حيِّنَا.. كعادتنا لمدة ساعة واحدة..

ـ وماذا حصل لهذا المزار؟!

ـ هدمته الحكومة في أوائل الثمانينيات... وطبعاً كالعادة في مثل هذه الأحداث تجمهر الناس حول المزار ينتظرون ما سيحصل لمن يباشر هدمه... يروي لي أحد شهود العيان أنه عند هدم المزار حضر مختار الجزيرة (أحمد خلف)... وعندما اقترب الحفارة للهدم تعطلت... فاعتقد الناس أنها من لعنة المزار ثم ما لبث أن عملت مرة ثانية... وأزيل الأثر... ولم يحصل أي مكروه لأحد... بل أزيل مظهر من مظاهر الشرك بالله من هذه البقعة من الكويت...

ـ الغريب في الأمر... أن الناس يتعلقون بأماكن.. وأشياء.. ويزداد

تعلقهم.. بل يصل إلى درجة العقيدة واليقين... فإذا أزيلت تركوا الأمر ونسوه... وكأن شيئاً لم يكن...

ـ هذا من عمل الشيطان يحبب للناس الشرك... والنذر لغير الله.. والتعلق بغير الله... والتقرب إلى غير الله.. بل والخوف منهم... ومن غضبهم... كل هذا من تزيين الشيطان لبني آدم... وربما لا يكون في القبر شيء... أو ربما يكون قبر رجل عادي... أو قبر حيوان... وتبدأ المسألة ربما برجل أو اثنين ثم تصبح مزاراً لأمة من الناس..

ـ لدينا من ذلك شيء كثير في مصر... مزارات... ومقامات... وأضرحة وقبور... ولا شك أن أكبرها... (السيدة زينب)... و(الحسين)... وما يحزنني أن الفقراء من الناس ومن لا يملكون إلا قوت يومهم... يشترون النذور... من خراف أو بقر.. ويقطعون المسافات... بالقطار... ليذبح عند القبر... وفاء لنذره... أن شفي ابنه... أو أنجبت امرأته... أو تزوجت ابنته... ويزين بعض (العلماء) للناس هذا العمل ويقولون إن هؤلاء لا يريدون الميت في القبر... ولكن يريدون التقرب إلى الله.. ويأتي السؤال البدهي المنطقي... (لماذا لم يذبحوا في أماكنهم)؟.. ولماذا يريدون التقرب إلى صاحب القبر... وهنا نتلو قول الله تبارك وتعالى..

﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤ ﴾ (فاطر).

ـ لا شك أن أكثر الناس من العوام الذين يحتاجون من يبين لهم ويرشدهم إلى الحق... وأن هذه الأعمال من النذر للقبور والذبح لها والاعتقاد بأن الأموات يجلبون نفعاً أو يدفعون ضراً ـ ولو بإذن الله ـ هذا شرك أكبر... يُخرج الإنسان من ملة الإسلام ويقع تحت قول الله تعالى...

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء: ٤٨ و١١٦).

ـ أعتقد أن المسؤولية العظمى تقع على العلماء وطلبة العلم... وذلك أن الذين ينكرون هذه الأمور هم القلة في عالمنا الإسلامي... والغالبية العظمى ممن يتصدرون المجالس لا ينكرون على العامة تعظيم القبور وزيارة الأضرحة للتبرك بها... والنذر.. والذبح... عندها... وربما المبيت بجوارها... لذلك ترى أن الأضرحة... سواء كانت أضرحة لأولياء صالحين... أو أضرحة لمجهولين غير معروفين... منتشرة في العالم الإسلامي... من أندونيسيا شرقاً إلى المغرب غرباً... وتكثر في بعض البلاد... عن غيرها... مع أن الرسول ﷺ أمر علياً رضي الله عنه ألا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه... ففي صحيح مسلم... عن حيان بن حصين قال: قال لي علي رضي الله عنه ألا ابعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ: «**ألا تدع صورة إلا طمستها... ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**»...

إن المنهج الصحيح للدعوة إلى الله أن يحارب الشرك بكل أنواعه أولاً... هذه هي دعوة الرسل جميعاً... وألا يتعلق العبد إلا بالله... وحده لا شريك له... في الدعاء والذبح والرجاء والخوف والتوكل والاستغاثة...

كما أنه لا يركع إلا لله... ولا يسجد إلا لله... كذلك يجب ألا يذبح تعبداً إلا لله... ولا ينذر إلا لله... ولا يستغيث إلا بالله... ولا يرجو النفع إلا من الله... ولا يأمل دفع الضر إلا من الله... يجب أن تكون دعوة العامة إلى هذه الأصول أولاً وثانياً وثالثاً ودائماً... مع العبادات والأخلاق وقبلها وبعدها... ويجب الإنكار على من يقع فيها أكثر من الإنكار على من يشرب الخمر ويقع في الزنا.

فمن المنطقي أن يغيّر المرء عقيدته التي نشأ عليها إذا كانت مبنيّة على تعظيم القبور والإعتقاد بالأضرحة والإيمان بالمزارات...

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٨)

ـ من الأمور التي يؤذيني سماعها... الحلف بغير الله... وخاصة عند الباعة وأصحاب المحال التجارية...

في مصر.. تكاد تجزم أن الجميع يحلف (بالنبي)... حتى أصبحت علامة مسجلة لإخواننا المصريين... وفي العراق... تكاد تجزم أن الجميع يقسم (بالعباس)... وهذا عندهم من أغلظ الأيْمان وآكدها... وفي لبنان... يكثرون من القسم (بالعذراء)....

ـ عندما كنا صغاراً بالستينيات... كنا نقسم بـ (رأس أمي وأبي) وكانت المرأة تقسم بـ(رأس عيالي)... ولكن أرى أن هذا الأمر اختفى عندنا في الكويت...

ـ أظن أن الصحوة الدينية التي انتشرت في الكويت أواخر السبعينيات أوائل الثمانينيات... أثرت على المجتمع كله... وذلك أن المجتمع الكويتي صغير... وكانت صحوة قوية... رداً على الدعوات القومية والاشتراكية التي سبقت هذه الصحوة... فانتشر الحجاب... وامتلأت المساجد... وكثرت المحاضرات والاجتماعات والنشاطات الدينية... حتى نشأ جيل كامل... خلال فترة الصحوة الدينية...

ـ لنرجع إلى موضوع الحلف بغير الله... لا أفهم لماذا لا ينكر العلماء على العامة حلفهم (بالعباس) مثلاً... ولماذا العباس على وجه الخصوص.

ـ أولاً دعني أبيّن لك حقيقة ربما لا يعرفها الكثيرون هي أن (العباس)

الذي يحلف به بعض الناس تعظيماً لمكانته وتأكيداً لمنزلته هو العباس بن علي بن أبي طالب... وليس عم النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب... فهو أخو الحسن والحسين لأبيهما علي من زوجته فاطمة بنت حزام (أم البنين)... وكلاهما يكنى (أبو الفضل) أما عم النبي ﷺ فكان له ابن (الفضل) وأما العباس أخو الحسين فلكثرة فضائله... والناس يهابون العباس الأصغر... ولا يذكرون العباس الأكبر الذي كان يقود بغلة النبي ﷺ في معركة حنين عندما فرّ المسلمون في بداية المعركة... ولقد سمعت أحدهم ممن يتصدر المجالس ويعتلي المنابر... يقول بالنص...

(حتى الملائكة لا يصِلون إلى منزلة العباس)... (حتى إذا أراد الموالي أن يحلف ... يحلف بالعباس لأنه يخاف العباس أكثر من الله تعالى).

ـ لعلها زلة لسان... في لحظة حماس قالها هذا المعمم ولا شك أنك لو ذكرت ذلك لأي مسلم عامي لا يفقه شيئاً في دين الله... لقال لك هذا القول مردود على صاحبه ولا يقبله أحد...

لم أعلق على رد صاحبي...

ـ ولكن إذا قرأت... ما يكتب ويدوّن لا شك أنه أثبت مما يقال... فإنك تصل إلى قناعة أن بعض الناس يرفع العباس بن علي إلى منزلة أعظم من الأنبياء... بل ومن منزلة أولى العزم من الرسل.. وإليك بعض ما ورد في منزلة أبي الفضل العباس أخي الحسين... فهو (باب الحوائج)... يكتب الإمام الشيرازي.

(من عجيب ما شاهدته في كربلاء ومنذ نعومة أظفاري وأنا في التاسعة

من عمري حيث وصلنا كربلاء المقدسة من النجف الأشرف إلى وقت خروجي الإجباري من هذه المدينة قاصداً الكويت الكثير من الوقائع. فمن مشاهداتي المتكررة في كربلاء هو خوف العرب والعجم والهنود والترك والكرد وغيرهم من القسم بالعباس، فبعضهم يهون عليه الحلف بالله سبحانه على الحلف بالعباس.

وقد استخدمتُ هذه العقيدة القويّة لدى الناس بالعباس في حل المنازعات التي كانت تنشب بينهم، فكنت أطلب – عند الترافع إليّ – ممن أراه على باطل أن يحلف بالعباس، فتراه على استعداد لأن يقر ويعترف بذنبه ويرجحه على القسم بالعباس). انتهى...

وهذه الظاهرة لا تنحصر بالشيعة فقط بل نجدها عند أهل السنة أيضاً، فكانوا لا يقسمون إلا بالعباس...

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله... مع أن العقيدة الصحيحة (أن تحلف بالله كاذباً خير من أن تحلف بغير الله صادقاً)...

ـ لقد أصبحت سمة لأهل العراق... خاصة الحلف (بالعباس) ... نسأل الله الهداية للجميع... وسؤال بدهي يأتي لماذا لا تقسم (بالنبي) الذي هو أعظم عند الله من (العباس) كما يفعل كثير من الناس في مصر... مع أن كثيراً منهم لا يقصد الحلف ولكنها عادة سيئة ينبغي على العلماء أن يتصدوا لها... فإن الألفاظ التي فيها نوع من الشرك نهى عنها الرسول ﷺ، ولو بمجرد اللفظ دون النية والقصد ففي الحديث...

عن قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حبر من الأحبار رسول الله ﷺ

فقال: يا محمد! نِعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون! قال: سبحان الله! وما ذاك؟ قال تقولون إذا حلفتم: والكعبة قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئاً ثم قال: إنه قد قال فمن حلف فليحلف برب الكعبة قال: يا محمد! نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله ندا! قال: سبحان الله! وما ذاك؟ قال: تقولون ما شاء الله وشئت. قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئاً ثم قال: إنه قد قال فمن قال: ما شاء الله فليقل معها: ثم شئت (السلسلة الصحيحة).

وعن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فراجعه في بعض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله ﷺ: أجعلتني مع الله عدلاً (وفي لفظ: نداً)؟! لا بل ما شاء الله وحده. (صحيح).

قال ﷺ: «**أكبر الكبائر أن تجعل لله نداً وقد خلقك**» متفق عليه.

ومثل هذه الأقوال التي يجب إنكارها... (توكلت على الله وعليك) (ما لي إلا الله وأنت)... الله سبحانه وتعالى (أحد صمد)... لا ند له.. ولا كفو له.. سبحانه.. فلا يجوز صرف شيء مما اختص الله به.. إلى أي مخلوق مهما كان.

ولو جاز لنا أن نحلف بمخلوق لكان الرسول ﷺ هو أولى من يحلف به...

قاطعني..

ـ هل يجوز أن تقول: (لو جاز أن نحلف بمخلوق لكان الرسول ﷺ هو أولى من يحلف به)؟

ابتسمت... لحرص صاحبي..

ـ هذا من باب قول النبي ﷺ .. (لو كنت آمراً أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها).

ـ ما مناسبة هذا الحديث؟

ـ عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قدم معاذ اليمن أو قال الشام فرأى النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها فرأى (فكر) في نفسه أن رسول الله ﷺ، أحق أن يعظم فلما قدم المدينة قال: يا رسول الله رأيت النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها فرأيت في نفسي أنك أحق بالسجود... فقال ﷺ: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها...**» (صحيح ابن ماجه).

وهذا العمل – السجود – لا يجوز إلا لله سبحانه كما الحلف والدعاء... كلها لله وحده.. لا شريك له.

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٩)

ـ لا أذكر كم مرة زرت بغداد... ولكنها ليست أقل من ثلاث مرات... كنت أحرص في كل رحلة أن أذهب إلى النجف وكربلاء!!

استغرب صاحبي..

ـ ولماذا تحرص أن تذهب إلى النجف وكربلاء؟!

ـ لأرى بأم عيني ما أكتب عنه... ولأبيّن للناس من واقع عشته لا من رواية سمعتها.

كان مرافقي في إحدى هذه الرحلات عام ١٩٨٦ للميلاد... عراقي يعمل في الجامعة... يسكن بغداد... أذكر أنني سكنت في (شيراتون عشتار)... أردت أن أصلي العصر قبل خروجنا...

سألت كمال:

ـ أين اتجاه القبلة؟!

كأنما أحرج بسؤالي وكعادته قلبها إلى مزحة... وبلهجته العراقية...

ـ إنت صلي... بأي اتجاه.. إذا طلعت الصلاة من الدريشة (النافذة) ستصل إلى السماء.

أنكرت عليه مقولته... وأنه لا مجال للمزاح في هذه الأمور... اجتهدت في معرفة اتجاه القبلة... أديت الصلاة... وخرجنا...

طلبت منه التوجه إلى كربلاء...

ـ المسافة إلى كربلاء تزيد على المئة كيلومتر... ثم ثمانون كيلو متراً إلى النجف.. أرى أن تؤجل هذه الرحلة إلى الغد... ننطلق صباحاً بعد وجبة الإفطار... ونعود قبل المغيب... ولكن اليوم لنتجول في بغداد... وترتاح من عناء السفر.. بأكل السمك المسقوف على شاطئ النهر.

استحسنت رأي صاحبي... وكان كذلك برنامجنا في اليوم التالي.. انطلقنا الساعة العاشرة صباحاً في اتجاه جنوب غربي... إلى كربلاء... هناك حيث وقعت معركة الطف واستشهد الحسين عليه السلام، ومن كان معه... المزار الأكبر هناك للحسين بن علي والعباس بن علي رضي الله عنهما.

بلغنا المكان.. وكان ذلك أثناء الحرب العراقية | الإيرانية.. التي امتدت من سبتمبر ١٩٨٠م إلى أغسطس ١٩٨٨م..

كنت ألبس الزي الشعبي الخليجي... ما إن بلغنا الموقع حتى استقبلنا أحد المعممين... (تريد أن أزوّركم) – بتشديد الواو – ... اي أكون مرشدكم لزيارة الضريح... شكرته واعتذرت... أصرّ أن يصاحبنا... وإن شئنا أن ينزلنا إلى (السرداب).. الطابق السفلي.. وخدمات أخرى... قررت أن أجلس معه.. لأحاوره .. جلسنا قبل المدخل..

ـ هل لي أن أستفسر عن بعض الأمور قبل أن (تزوّرنا)؟

ـ بالطبع ... فأنا خبير بهذا المكان ووالدي من قبلي وجدي...

ـ لماذا كتب في كل مكان (يا أبا عبد الله)؟! (لبيك يا حسين)؟

استغرب المعمم..

ـ هذه تعبر عن حبنا وولائنا لأبي عبد الله الحسين الذي قتل مظلوماً... هنا في هذه البقعة المقدسة... التي تقدست بدمه عليه السلام... ومن قتل مظلوماً من آل بيته الطاهرين... كان متحمساً... أردت تهدئته...

ـ كلنا يؤمن بأن الحسين بن علي رضي الله عنه قتل مظلوماً ونقول لعنة الله على من قتله... ومن أمر بقتله... ومن أعان على قتله... ومن رضي بقتله... لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً... إلى يوم القيامة... هذه حقائق لا يختلف عليها اثنان من المسلمين... وكلما تذكرنا مصيبته وآل بيته قلنا (إنا لله وإنا إليه راجعون)..

بدت على صاحبي علامات الهدوء والرضا...

ـ ولكن نحن نتكلم العربية... وقرآننا عربي...

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (يوسف).

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (طه).

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الزمر).

وفي اللغة العربية... عندما تقول (يـا)... هي للنداء... إن كانت للحاضر... مثلاً أنت أبو (...)؟

ـ أجاب... (حيدر)...

ـ أناديك.. يا (أبا حيدر).. فتجيبني نعم.. وأنت إذا أردت شيئاً من ابنك...

تناديه... يا حيدر... هذا للحاضر المرجو أن يسمعك... ولكنك لا تنادي ابن عمك الذي يسكن بغداد (يا أبا حسين)... لأنه لا يسمعك... وكذلك ربما تنادي من هو أعلى منك منزلة... نداء طلب ورجاء... وتنادي من هو أقل منك منزلة... نداء أمر وأداء... وإذا ناديت الله... فإنك تناديه نداء (دعاء)... وربما نداء استغاثة... وهذا كله... يأتي بصيغة (اللهم) بمعنى (يا الله)...

كان صاحبي يستمع باهتمام... كأنما يسمع شيئاً جديداً...

ـ أوافقك الرأي...

ـ والآن نعلم أن الحسين بن علي عليه السلام قتل مظلوماً وأنه نال أعلى درجات الشهادة وأنه في الجنة مع أبيه وجده رسول الله ﷺ... وأنه وأخوه الحسن (سيدا شباب أهل الجنة)... ولكن لماذا نقول (يا حسين)؟!

ـ نجدد بهذه الكلمة ولاءنا وحبنا للحسين عليه السلام...

– هذه الصيغة لا تُستخدم ولا تستعمل في تجديد الـولاء ولا بيان المحبة... هذه صيغة نداء ... ودعاء... واستغاثة... والحسين عليه السلام هناك في نعيم الجنان... لا يسمع هذا النداء... ولا يستجيب لهذا الدعاء... ولا يدري عن هذه التلبية... وأحبُّ إليه أن يتبع الناس تعاليمه وأخلاقه وعبادته... وتعاليم أبيه.. ومن باب أولى هدي جده رسول الله ﷺ... من أن يرددوا كلمات لا تبلغه...

ـ ومن قال لك أنه لا يسمع هذا النداء؟ وأنـه لا تبلغه تلبية محبيه ومواليه؟!

ـ لأنه في الجنة يتنعم مع أبيه وجده... والموتى لا يسمعون نداء الأحياء...

ـ ألا يسمع رسول الله ﷺ صلاة من يصلي عليه؟!

ـ في الحديث: «**أكثروا الصلاة علي فإن الله وكل بي ملكاً عند قبري فإذا صلى علي رجل من أمتي قال لي ذلك الملك يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة**» حسن...

وفي الحديث الآخر...

(**أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة، فإن صلاتكم معروضة علي** قالوا: وكيف تعرض عليك وقد أرمت؟ **قال: إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**) (صححه الألباني)...

ففي هذه الحديثين بيّن الرسول ﷺ استثناءه من حال الموتى عموماً... فكل أحد بعد الأنبياء تأكل الأرض جسده وإلا لما أقر الرسول ﷺ السائل على قوله (وقد أرمت)... واستثنى الأنبياء..

ثم دعني أسألك وبكل صدق وحب.. وإخلاص..

ـ أليس الأولى... أن نقول (يا الله)... أو (اللهم... عليك بالظالمين) (واكتبنا مع الذين يكونون مع الحسين)، ومع آل الحسين وآل محمد جميعاً يوم القيامة.. أليس من الأجدى لو كان لنا أن ننادي أحداً غير الله أن نقول (يا رسول الله)... فهو الأولى من غيره بالنداء والدعاء والاستغاثة إن كانت تجوز لغير الله سبحانه...

سكت صاحبي...

وبينما نحن في طريقنا للدخول حيث الضريح... إذا بسبعة توابيت تسبقنا... سألته..

ـ ما هذا؟

ـ هذه جثامين.. جنود استشهدوا في الجبهة مع إيران يأتون بها للطواف حول الضريح... قبل دفنها...

– ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾!!! ولماذا يطوّفون حول الضريح؟!

ـ إنهم يتبركون بهذه الزيارة... ومن يزوره ميتاً كمن يزوره حياً...

ـ هذه قضايا من الغيب لا ينبغي لأحد أن يعتقدها ولا أن يقول بها إلا بتشريع من الله: آية من القرآن أو حديث صحيح من رسول الله ﷺ، وإلا أصبحت بدعة من وحي الشيطان... حتى حول الكعبة المشرفة بيت الله الحرام... الذي أمر الله عباده أن يطوفوا حوله عبادة له سبحانه... وهو (أول بيت وضع للناس) وهو بمكة... لا يطاف بالموتى حوله... (إنا لله وإنا إليه راجعون) من هذه الأمور التي لا يرضاها الله ولا رسوله ولا ابن عمه ولا سبطه ولا أحد من المسلمين المؤمنين المخلصين لله ورسوله...

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (١٠)

أصر أبو حيدر أن يرافقنا... خاصة بعد أن علم أننا سنتوجه إلى النجف بعد كربلاء... وكرر أكثر من مرة أنه لا يريد منا أية مبالغ مادية... وإنما يريد الأجر والثواب... وافقنا على طلبه... بدأ بيان الزيارة

ـ هنا نحن في الرواق الخارجي ومن أراد (الزيارة)... ينبغي أن يلتزم ببعض الآداب لكمال أجر الزيارة... مثلاً... يصوم ثلاثة أيام متوالية قبل الزيارة ويغتسل في اليوم الثالث... ثم ينوي الزيارة ويخلص نيته ويلبس أثواب الحزن والكرب ويلتزم الوقار... ويفضل أن يزور ماشياً ولا يتخذ زاداً من اللحم وأنواع الطعام الفارهة... وإنما يكتفي بالخبز واللبن.. ويأتي أشعث أغبر وكلما اقترب من (العتبة المقدسة)... ازداد خشوعاً... في بعض الروايات عن محمد بن مسلم.. قلت للإمام محمد الباقر عليه السلام: إذا خرجنا إلى أبيك ألسنا في حج؟ قال: بلى... قلت: فيلزمنا ما يلزم الحاج؟ قال: يلزمك حسن الصحبة... وقلة الكلام.. وكثرة الذكر.. ونظافة الثياب.. والخشوع وكثرة الصلاة على محمد وآل محمد، وترك الخصومة... فإذا فعلت ذلك تم حجك وعمرتك...

كان أبو حيدر يتحدث بلطف... وتفصيل... يريد أن يبلغنا رسالة (ويهدينا)... إلى الحق... بقيت مستمعاً ونحن لا زلنا في الرواق الخارجي في طريقنا إلى الصحن الأوسط...

تابع حديثه:

ـ ومن آداب الزيارة الاغتسال من الفرات لرواية... عن بشير الدهان عن الصادق عليه السلام... قال: من أتى قبر الحسين بن علي عليه السلام فتوضأ واغتسل في الفرات لم يرفع قدماً ولم يضع أخرى إلا كتب الله له حجة وعمرة... وإذا أراد دخول (الحائر المقدس) يدخل من الباب الشرقي.. وإذا أتى القبر يقف على باب الروضة ويدعو بالدعاء المأثور... ثم يمضي إلى القبر فإن له بكل خطوة أجر المتشحط بدمه في سبيل الله، فإذا بلغت القبر فامسحه بيدك وقل: السلام عليك يا حجة الله في أرضه وسمائه، ثم تمضي إلى صلاتك ولك بكل ركعة كثواب ألف حجة وألف عمرة وألف رقبة، وكمن رابط في سبيل الله ألف مرة مع نبي مرسل...

توقف أبو حيدر عن الكلام... وبدأ طقوس (الزيارة)... دخلنا وأنا أراقب الناس من حولي.. بعضهم يحبو... والآخر يدخل راكعاً.. وأغلبهم يمشي... مع ضرب خفيف على صدره... وكلما اقتربنا من القبر ازداد الزحام... وعند القبر... تعلق الناس بالسور المعدني المشبك... وكان على هيئة خمسة أقواس وفوقه ثلاثة أو أربعة ألواح مذهبة وفوقه قماش أخضر غطى جزءاً من الضريح الذي بلغ طوله ثلاثة أمتار تقريباً...

ذكرني بضريح الرضا إلا أنه هناك تزين السقف بالمرايا الصغيرة أكثر... وهنا تزين بالكريستال... انتهينا.. وبدأنا بالخروج... انقلب صاحبي يمشي القهقرى إلى أن خرجنا...

ـ الآن يمكننا زيارة العباس...

– لنجلس جانباً يا أبا حيدر

أخذنا مجلساً أنا وكمال وأبو حيدر...

ـ يا أبا حيدر... ذكرت لي فضل الزيارة وآدابها... وإنها تعدل آلاف الحجات إلى مكة وآلاف العمرات... وآلاف الرباط في سبيل الله... وأنا بصراحة لدي بعض التساؤلات...

ـ تفضل...

ـ هل كان الرسول ﷺ يعلم بمقتل الحسين؟!

ـ نعم... وأخبر بذلك والحديث عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله ﷺ، فقالت يا رسول الله إني رأيت حلماً منكراً الليلة. قال: وما هو؟ قالت(إنه شديد). قال: وما هو قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري، فقال: رأيتِ خيراً تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك.

فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ، فدخلت يوماً إلى رسول الله ﷺ فوضعت الحسين في حجري ثم حانت مني إلتفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان من الدموع فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي مالك؟

قال ﷺ أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا. فقلت: هذا؟ قال: نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء.... (صحيح).

استغربت حفظه للحديث... وهو حديث صحيح...

ـ أحسنت يا أبا حيدر... إذن كان النبي ﷺ، يعلم بمقتل الحسين وأن أناساً ظالمين ينتسبون إلى أمة محمد ستقتله... وفي أرض كربلاء... هل أمر الرسول ﷺ أحداً... أن يزور قبر ابنه بعد مقتله؟! وذلك أنه ﷺ معلوم لدينا جميعاً أن الرسول ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا ما ترك خيراً إلا ودلنا عليه... وأجر الزيارة أعظم من ألف ألف حجة وعمرة... فلِمَ لَمْ يدلنا عليه الرسول ﷺ، ولو بحديث واحد؟! كل الذي ذكرته يا أبا حيدر يدفع المسلم أن يحرص أن يأتي لزيارة أبي عبدالله عليه السلام... أكثر من حرصه على الحج والعمرة...

ولكنك لم تذكر لي حديثاً واحداً عن رسول الله ﷺ في الحث على الزيارة... ومع أنك ذكرت تفاصيل الزيارة... من الصيام والاغتسال والأذكار والصحبة والخشوع والمشي... وغير ذلك... والرسول ﷺ ذكر لنا تفاصيل الحج... من أجر الحاج منذ أن يخرج من بيته... وأجر الطواف والركعتين عند المقام والسعي والحلق والذبح.. وهذه تشبه تلك إلا أن أحاديث الحج ثابتة بالسند والمتن إلى رسول الله ﷺ... وأحاديث الزيارة تبدأ من بشير الدهان ثم جعفر الصادق... والرواية عن جعفر الصادق... وليست عن رسول الله ﷺ.. ولا تثبت نسبتها إلى جعفر الصادق..

قاطعني...

ـ وهل يحدث جعفر الصادق كذباً على رسول الله ﷺ؟

ـ كلا... بالطبع... أبداً لم أقل ذلك... ولكن هنا مشكلة كبيرة لدي... وهي أن الرواية عن جعفر الصادق ليست ثابتة.. كلها أقوال مرسلة... ثم من

جعفر الصادق إلى رسول الله ﷺ... لا يذكر من ينقل الرواية.. والمشكلة أن هذه قضية تعبدية عظيمة... وفيها من الأجر وما ينبغي أن يحرص عليه كل مسلم... ولكن كما تعلم أن العبادات... توقيفية... أي أننا لا نصلي كما نشتهي ولا نصوم كما نهوى... ولا نزكي كما نرتأي.. الرسول ﷺ بَيَّن لنا كل ما نحتاج إليه في التقرب إلى الله... أريد حديثاً واحداً فقط... حديثاً واحداً... صحيحاً إلى رسول الله ﷺ في ثواب الزيارة...

ثم لدي مشكلة أخرى... إذا كان كل هذا الأجر والثواب في زيارة قبر الحسين... فلا شك أن زيارة قبر الرسول ﷺ ثوابها أكبر... ولا أعلم حديثاً واحداً يثبت مثل هذا الأجر في زيارة قبر الرسول ﷺ.

ومشكلة ثالثة – واسمح لي يا (أبا حيدر) – ولكن لدي تساؤلات لا أجد لها إجابات... المشكلة الأخرى أن (القدسية) التي أضيفت إلى كل شيء في هذا المكان... (العتبة المقدسة)... (الروضة المقدسة).. (الضريح المقدس).. (الحرم)... هذه صفات لا يمكلها البشر بمعنى... أن إضافة (الحرمة) أو (القدسية) لأشخاص أو أماكن أو أذكار... هذه قضية يختص بها الله عز وجل... فمن أسمائه (القدوس)...

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الحشر).

وهو سبحانه وحده الذي يقرر أن هذا المكان مقدس أو هذا المكان

(حرم)... وبالطبع إذا قلنا (حرم) يصبح للمكان أحكام... من عدم الصيد أو قطع الشجر أو ارتكاب المعاصي... والله عز وجل لم يجعل في الارض (حرماً) عدا (البيت الحرام) بمكة... في قوله:

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ (المائدة: ٢).

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ (المائدة: ٩٧).

فلا يجوز لنا أن نضيف (القدسية) و(الحرمة)...

ـ وماذا عن المدينة المنورة؟!

ـ نعم حرمها الرسول ﷺ بأمر من الله... ففي الحديث المتفق عليه...

أن النبي ﷺ طلع له جبل أحد فقال:

(هذا جبل يحبنا ونحبه اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها) متفق عليه... وكل هذا بوحي من الله..

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾.

هذه قضايا أساسية يا أبا حيدر ينبغي على كل منا أن يبحث عنها ويتيقن أنه فيها كما يرضى الله عز وجل... وإلا إذا فتحنا الباب فكل أحد يستطيع أن يجعل من الثواب ما يشاء لمن قام بعمل ما مثل (صلاة الرغائب).. وأجر (الحج في رجب)... وقيام (ليلة الإسراء)... وزيارة (غار حراء)... هذه عبادات لله ومن الأدب مع الله ألا يتقرب العبد إلى الله إلا بما شرع الله.

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (١١)

بعد أن خرجنا إلى الرواق الخارجي مررنا بفندق (أفنان كربلاء).. ومعظم الفنادق هنا من النوع الذي يلبي الحاجات الأولوية للزوار... قادنا أبو حيدر إلى ضريح (العباس بن علي)..

ـ لا بد من زيارة (قمر بني هاشم)... (باب الحوائج)...

لم تكن المسافة بعيدة..

ـ هل تعلم أن بين الضريحين.. كما بين الصفا والمروة؟

ـ كلا... لم أكن أعلم ذلك... وهل تعني هذه المسافة شيئاً معيناً...؟؟

ـ لمجرد العلم... كما يسعى الناس هناك في مكة بين الصفا والمروة... هنا... يذهب الناس بعد (الحسين) إلى (العباس)...

ـ ولماذا يلقب (العباس بن علي)... بـ(باب الحوائج)؟

ـ ربما لأنه واسى أخاه الحسين في العطش... والعقيدة فيه أنه يقضي حوائج المحتاجين بحسب وجود المقتضي وعدم المانع!!!

لم أعلق على مقولة صاحبي... تابع حديثه...

ـ وهناك الكثير من الكرامات للعباس عليه السلام... لا داعي لذكرها... ولكن له في نفوس المحبين والموالين مكانة عظيمة... حتى أصبح الحلف به من أعظم الأمور التي لا يقدم على فعلها أحد إلا وهو صادق... ونحن في الطريق روى لنا إحدى كرامات العباس عليه السلام..

كان طالب علم يدرس العلوم الدينية في كربلاء اسمه الشيخ إبراهيم... وكان يريد الزواج وعليه دين وكان يريد الحج أيضاً.. ولا يتمكن من ذلك.

فجاء إلى حرم الإمام الحسين طالباً حوائجه ثمّ ذهب إلى حرم العبّاس، وكان كلّ يوم يأتي إلى الحرمين ويطلب حاجته وبإلحاح متواصل ومستمر، واستمر على ذلك ستة أشهر ، وفي اليوم الآخر رأى امرأة من أهل البادية تحمل طفلاً مصاباً بمرض «الكزاز» وبلغ تقوّس ظهره أن تدلى رأسه إلى الخلف ، وهذا القسم لا يعالج في الطب ، وبعد أن يئس أهله من الشفاء جاءوا به إلى حرم العبّاس وضعته المرأة ـ ولعلّها كانت أمّه ـ أمام ضريح العبّاس تطلب منه الشفاء العاجل ، وإذا بالطفل يغفو ثم يصحو من إغمائه ويقف على رجله كلّ هذا والشيخ ينظر إليه ، ويرى كيف تقبّل الله سَعيَ هذه المرأة وكيف توسط العبّاس في شفائه .

وهنا هاج الشيخ وسيطر عليه الحزن والألم وأخذ يخاطب العبّاس بلهجة لا تناسب مقامه وبلغة عامية :

الحسين إمام وأنت أخو الإمام ، وبيدك كلّ شيء لكنّكما لا تنفعان إلاّ أقرباءكما العرب ، ثمّ ودّع الحضرة الشريفة وذهب إلى حرم الإمام الحسين، وقال له : أنت إمام والعبّاس أخو الإمام وبيدكما كلّ شيء ولكنّكما لا تنفعان إلاّ أقرباءكما العرب. ثمّ خرج وقرر أن يذهب إلى النجف الأشرف ليخاطب الإمام أمير المؤمنين بالمنطق نفسه ثمّ ليعود إلى أهله وقريته في إيران . عزم الرجل على الذهاب إلى النجف الأشرف، ولما وصل إلى الصحن الشريف جلس ليستريح، فإذا به يرى شخصاً يأتيه ويقول له: يا شيخ إبراهيم إنّي خادم

الشيخ مرتضى الأنصاري جئتك لأبلغك رسالة الشيخ، وأنّه ينتظرك في بيته. تعجب الشيخ إبراهيم من كلام هذا الرسول لأنه لم ير الشيخ الأنصاري من قبل، واشتدّ تعجّبه عن كيفية علم الشيخ به وأنّه موجود في إيوان الصحن المطهّر. قام وذهب إلى دار الشيخ، فاستقبله الشيخ الأنصاري وأعطاه ثلاث صرر قائلاً له:

هذه الصرّة لحجّك وهذه لزواجك وهذه لأداء دينك، فتعجب من معرفة الشيخ بحوائجه وازداد عجبه من عتب الشيخ عليه لأنه خاطب العبّاس بذلك الخطاب قائلاً له: هناك فرقٌ بينك وبين ذلك الذي شافاه العبّاس في الحال فأنت رجلٌ عالم عارف وتلك امرأة قرويّة، فإنّ الله إذا لم يعطها حاجتها كفرت، وأمّا أنت فلست كذلك. رجع الشيخ إلى كربلاء المقدّسة وغيّر رأيه في أمر العودة إلى إيران. وفتح الصرر الثلاث فإذا في كلّ صرّة بقدر كفاية الحاجة التي كانت له. وهكذا فالعبّاس هو باب الحوائج بأمر من الله سبحانه وتعالى.

ـ تعلم أبا حيدر... مع أننا لم نلتق إلا من سويعات وربما لن نلتقي بعد اليوم... ولكن أود أن أبلغك كلمات من محب مشفق... هذا الذي تتحدث عنه وتفعله كل يوم... هذا دين... وتشريع... وأمور ينبغي ألا ينطق بها أحد إلا بوحي من الله عز وجل... كنت في السودان ذات مرة... وكان الناس يزورون قبة وخاصة في مواسم معينة... وكل من يزور القبة.. يروي لك قصة تتمثل فيها كرامة المدفون تحت القبة... كم من معوق استعاد حركته... وكم من عقيم ولدت... وكم من فقير قضيت ديونه... وهذا النهج ينتشر عند كل قبة وضريح ودعني أذكر لك حديثاً موقوفاً على أبي عبد الرحمن

عبد الله بن مسعود يقول: «**إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أعرف اسمه يحدث كذا وكذا**» أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه... بلغنا ضريح العباس... فبادرنا بالحديث أبو حيدر...

ـ وبالطبع لكل زيارة دعاء مأثور يختلف عن الضريح الآخر ومن الواجب زيارة العباس مع زيارة أبي عبدالله عليهم السلام... وكما كان الوضع عند ضريح الحسين كان هنا...

ـ ولكن (العباس) ليس من الأئمة؟!

ـ كلا وليس من المعصومين ولكنه تميز بقضاء الحوائج لموقفه العظيم من أخيه الحسين عليه السلام يوم كربلاء...

ـ وكذلك كان... عثمان بن علي... وعمر بن علي.. وعمر بن الحسن كلهم استشهدوا مع الحسين عليه السلام في كربلاء... وعثمان بن علي كان ملازماً للعباس في جميع أعماله يوم كربلاء...

ـ أظن أنهم لم تعمل لهم أضرحة لأنهم لم يجدوا جثامينهم أو لم يجدوها... الله أعلم.

وصلنا مركبتنا... اعتذر أبو حيدر لارتباطه وعدم قدرته أن يصحبنا إلى النجف...

انطلق كمال بنا جنوباً إلى النجف... مسافة لم تزد عن الساعة... (٧٥ كم).

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (١٢)

في رحلتنا إلى النجف... كانت الطريق سالكة...

ـ الحمد لله أننا في يوم الأربعاء... وإلا فأيام الخميس والجمع لا تستطيع أن تصل إلى (الحائر المقدس).

ـ لماذا؟

ـ لأن هناك روايات أن فاطمة الزهراء عليها السلام، تزور ابنها الحسين ليالي الجمع... مع أنني غير متدين... ولست حتى من الحريصين على الصلاة... إلا أن هذه الأمور لها مكانة في قلبي..

ـ وهل تظن أن هذه المكانة في قلبك تنفعك إذا كنت لا تؤدي الصلاة المفروضة؟

ـ إن شاء الله!!

ـ أؤكد لك أنها لن تنفعك... وأجزم لك بذلك وإن شئت أن أحلف لك فعلت إذا كنت تاركاً للصلاة... لم يتفاعل مع مقولتي كمال..

يمكن لأي «زائر» أن يرى المئذنتين والقبة المذهبة من مسافة بعيدة... ويزيدها جمالاً الأضواء مع حلول الظلام.. أما الضريح في الداخل فهو على نمط ضريح أبي عبدالله إلا أنه غطي بقماش أسود.

وكما حصل في كربلاء استقبلنا أحد المطوفين ليقوم بتزويرنا... اعتذرنا.. أن لا نحتاج... عرض علينا.. كتيب صغير لأدعية الزيارة... غيرت رأيي وطلبت منه أن يصحبنا...

ـ سوف أقوم بتزويركم والدعاء الكامل الوارد عند الضريح... لا عليكم إلا اتباع تعليماتي وسماع دعائي... كان الوصول إلى الضريح أسهل من كربلاء... وهناك أخذ يدعو...

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا صَفْوَةَ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا أمينَ الله، اَلسَّلامُ عَلى مَنِ اصْطَفاهُ اللهُ وَاخْتَصَّهُ وَاخْتارَهُ مِنْ بَرِيَّتِه، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا خَليلَ الله ما دَجَى اللَّيْلُ وَغَسَقَ، وَأضاءَ النَّهارُ وَأَشْرَقَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ ما صَمَتَ صامِتٌ، وَنَطَقَ ناطِقٌ، وَذَرَّ شارِقٌ، وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ، اَلسَّلامُ عَلى مَوْلانا أمير الْمُؤْمِنينَ عَلِيِّ بْنِ أبي طالب صاحِبِ السَّوابِقِ وَالْمَناقِبِ وَالنَّجْدَةِ، وَمُبيدِ الْكَتائِبِ، الشَّديدِ الْبَأسِ، الْعَظيمِ الْمِراسِ.

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا بابَ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا عَيْنَ الله النّاظِرَةَ، وَيَدَهُ الباسِطَةَ وَأُذُنَهُ الْواعِيَةَ، وَحِكْمَتَهُ الْبالِغَةَ، وَنِعْمَتَهُ السّابِغَةَ، وَنِقْمَتَهُ الدّامِغَةَ، اَلسَّلامُ عَلى قَسيمِ الْجَنَّةَ وَالنّار، اَلسَّلامُ عَلى نِعْمَةِ الله عَلَى الأَبْرار، وَنِقْمَتِه عَلَى الْفُجّار، اَلسَّلامُ عَلى سَيِّدِ الْمُتَّقينَ الْأَخْيار، اَلسَّلامُ عَلى أخي رَسُولِ الله وَابْنِ عَمِّه وَزَوْجِ ابْنَتِه، وَالْمَخْلُوقِ مِنْ طينَتِه، اَلسَّلامُ عَلَى الْأَصْلِ الْقَديم، وَالْفَرْعِ الْكَريم، اَلسَّلامُ عَلَى الثَّمَرِ الْجَنِيِّ، اَلسَّلامُ عَلى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ، اَلسَّلامُ عَلى شَجَرَةِ طوُبى وَسِدْرَةِ الْمُنْتَهى،

اَلسَّلامُ عَلى والِدِ الْأئِمَّةِ الْأبْرار، اَلسَّلامُ عَلى حَبْلِ اللهِ الْمَتين، وَجَنْبِهِ الْمَكين وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ،

اَلسَّلامُ عَلى أمين الله في أرْضِه وَخَليفَتِه وَالْحاكِم بِأَمْرِه، وَالْقَيِّم بِدينِه، وَالنّاطِقِ بِحِكْمَتِه، وَالْعامِلِ بِكِتابِه، أخي الرَّسُولِ وَزَوْجِ الْبَتُولِ وَسَيْفِ الله

الْمُسْلُول، اَلسَّلامُ عَلى صاحِبِ الدَّلالات، وَالْآياتِ الْباهِرات، وَالْمُعْجزات الْقاهِرات، وَالْمُنْجي مِنَ الْهَلَكات، الَّذي ذَكَرَهُ اللهُ في مُحْكَم الْآيات، فَقالَ تَعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ (الزخرف).

اَلسَّلامُ عَلَى اسْم اللهِ الرَّضي، وَوَجْهِهِ الْمُضيِّ وَجَنْبِهِ الْعَلِيِّ وَرَحْمَةُ اللهِ، وَبَرَكاتُهُ، اَلسَّلامُ عَلى حُجَج اللهِ وَأَوْصيائِهِ وَخاصَّةِ اللهِ وَأَصْفيائِهِ، وَخالِصَتِهِ وَأَمَنائِهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، قَصَدْتُكَ يا مَوْلايَ يا أمينَ اللهِ وَحُجَّتَهُ زائِراً عارِفاً بِحَقِّكَ، مُوالِياً لِأَوْلِيائِكَ، مُعادِياً لِأَعْدائِكَ، مُتَقَرِّباً إِلَى اللهِ بِزِيارَتِكَ، فَاشْفَعْ لي عِنْدَ اللهِ رَبّي وَرَبِّكَ في خَلاصِ رَقَبَتي مِنَ النّارِ، وَقَضاءِ حَوائِجي حَوائِجِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ.

ثم أشار علينا أن ننكب على القبر ونقبله... ولما رآنا لم نفعل تابع دعاءه:

سَلامُ اللهِ وَسَلامُ مَلائِكَتِهِ الْمُقَرَّبينَ وَالْمُسَلِّمينَ لَكَ بِقُلُوبِهِمْ يا أميرَ الْمُؤْمِنينَ، وَالنّاطِقينَ بِفَضْلِكَ، وَالشّاهِدينَ عَلى أَنَّكَ صادِقٌ أَمينٌ صِدّيقٌ، عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، أَشْهَدُ أَنَّكَ طُهْرٌ طاهِرٌ مُطَهَّرٌ، مِنْ طُهْرٍ طاهِرٍ مُطَهَّرٍ، أَشْهَدُ لَكَ يا وَلِيَّ اللهِ وَوَلِيَّ رَسُولِهِ بِالْبَلاغِ وَالْأداءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ جَنْبُ اللهِ وَبابُهُ، وَأَنَّكَ حَبيبُ اللهِ وَوَجْهُهُ الَّذي يُؤْتى مِنْهُ، وَأَنَّكَ سَبيلُ اللهِ، وَأَنَّكَ عَبْدُ اللهِ وَأَخُو رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،

أَتَيْتُكَ مُتَقَرِّباً إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِزِيارَتِكَ، راغِباً إِلَيْكَ فِي الشِّفاعَةِ، أَبْتَغي بِشَفاعَتِكَ خَلاصَ رَقَبَتي مِنَ النّارِ، مُتَعَوِّذاً بِكَ مِنَ النّارِ، هارِباً مِنْ ذُنُوبِيَ الَّتِي احْتَطَبْتُها عَلى ظَهْري فَزِعاً اِلَيْكَ رَجاءَ رَحْمَةِ رَبّي، أَتَيْتُكَ أَسْتَشْفِعُ بِكَ يا مَوْلايَ، وَأَتَقَرَّبُ بِكَ إِلَى اللهِ لِيَقْضِيَ بِكَ حَوائِجي،

فَاشْفَعْ لي يا أميرَ الْمُؤْمنينَ إلَى الله فَإنّي عَبْدُ الله وَمَوْلاكَ وَزائِرُكَ وَلَكَ عِنْدَ اللهِ الْمَقامُ الْمَحْمُودُ وَالْجاهُ الْعَظيمُ، وَالشَّأْنُ الْكَبيرُ، وَالشَّفاعَةُ الْمَقْبُولَةُ،

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وَلِيَّ الله، وَالشَّهابُ الثّاقِبُ وَالنُّورُ الْعاقِبُ، يا سَليلَ الْأطائِبِ، يا سرَّ الله، إنَّ بَيْني وَبَيْنَ الله تَعالى ذُنُوباً قَدْ أثْقَلَتْ ظَهْري وَلا يَأتي عَلَيْها إلاَّ رضاهُ، فَبحَقِّ مَن ائْتَمَنَكَ عَلى سِرِّه، وَاسْتَرْعاكَ أمْرَ خَلْقه، كُنْ لي الَى الله شَفيعاً، وَمِنَ النّارِ مُجيراً، وَعَلَى الدَّهْرِ ظَهيراً، فَإنّي عَبْدُالله وَوَلِيُّكَ وَزائِرُكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ.

وطلب منا أن نصلي ست ركعات وندعو بما نريد... طلبنا منه أن نخرج... فقال:

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا أميرَ الْمُؤمِنينَ، عَلَيْكَ مِنّي سَلامُ اللهِ أبَداً ما بَقيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ.

خرجنا إلى الرواق الخارجي.. سألته..

ـ هل لي أن أسألك عن أمور لم أفهمها؟!

ـ تفضل تفضل...

ـ الله سبحانه وتعالى... عرّفنا بما يُريد منا أن نعرف من أسمائه وصفاته... ولذلك لا ينبغي لنا أن نجتهد في هذا الباب بأن نسمي الله بما لم يسم به نفسه أو نصفه سبحانه بما لم يصف به نفسه...

وافقني على كلامي..

ـ أحسنت نعم هذا من أركان توحيد الله...

ـ إذن ماذا تعني.. بقولك.. (أشهد أنك جنب الله وبابه)؟ (أتيتك متقرباً إلى الله بزيارتك راغباً في الشفاعة)؟

(فاشفع لي يا أمير المؤمنين)؟ (ولك عند الله المقام المحمود)؟ (أمير المؤمنين عروتك الوثقى ويدك العليا وجنبك الأعلى وكلمتك الحسنى)؟

أولاً: لا أحد يملك الشفاعة إلا الله... ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ ولا حتى رسول الله ﷺ.. ولكن نسأل الله أن نكون فيمن يشفع فيهم رسول الله ﷺ.

ثانياً: (يد الله العليا... وجنبه الأعلى) كلام لم يثبت في القرآن الكريم أو حديث صحيح... وإنما قاله أحدهم واستحسنه آخرون وحفظه الباقون فأصبح ديناً للعامة..

ثالثاً: (المقام المحمود) ليس إلا لشخص واحد هو رسول الله ﷺ لا أحد غيره.

رابعاً: كيف يكون أمير المؤمنين علي عليه السلام عين الله الناظرة؟ وأذنه الواعية؟ وسبيل الله؟

خامساً: كيف يكون أمير المؤمنين علي عليه السلام قسيم الجنة والنار؟ هل تفهم معنى هذه الكلمات؟

ـ لا تأخذ معاني الكلام بمظهرها وما يتبادر إلى ذهنك خذها بالمعنى المجازي.

ـ هذه جمل مكتوبة باللغة العربية الفصحى... ولها معاني يفهمها من يقرأ العربية وينطق بها... وهي صفات تنسب إلى الله عز وجل... رب العزة... سبحانه... كيف يتجرأ أحدنا أن يجعل علي بن أبي طالب عليه السلام عين الله الناظرة؟ وأذنه الواعية؟.. هذا تعد على الله سبحانه وتعالى... فإننا لا يجوز لنا أن نسمي الله ولا أن نصفه إلا بما ارتضاه هو سبحانه لنفسه وأعلمنا به في كتابه أو سنة رسوله ﷺ... المسألة ليست (رص كلمات) و(سجع جمل)... أنت تتكلم عن رب العزة فينبغي الحذر والدقة وإلا فإن الله سبحانه يغضب لو وصفناه سبحانه بما لا يليق به..

ثم من الذي يملك الجنة والنار... لا أحد.. كما في الحديث: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم. قال الله تعالى للجنة. إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله رجله. تقول: قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحداً وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً**» (متفق عليه).

فلا يملك أحد أن يدخل أحداً الجنة ولا النار...

هذه أمور عظيمة لا يمكن أن نتقوّل بها أو نعتقدها إلا بدليل من القرآن أو الأحاديث الصحيحة...

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (١٣)

ذهبت عام ١٩٨٦م إلى السودان في رحلة دعوية... حظيت بيوم راحة واحد... قبل رجوعي إلى البلاد.. طلبت أن أقضيه منفرداً دون سائق أو مرافق...

بعد تناول إفطار الصباح... استأجرت سيارة أجرة واتفقت مع السائق أن يريني أهم معالم الخرطوم...

ـ أول معلم يجب أن تراه قبة الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني (شيخ الطريقة).

ـ ولماذا هو أهم معلم...

ـ لأن جميع أهل الخرطوم يزورونه... يتبركون به... ويسألون الله حاجاتهم عنده...

ـ وهل لا زال هناك من يعتقد بالقباب والأضرحة...

استغرب صاحبي سؤالي...

ـ أنتم أهل الخليج متأثرون بالعقيدة الوهابية... أما نحن فهذا ديننا ودين آبائنا...

ـ وكم عدد القباب والأضرحة... في السودان؟!

ـ كتير... كتير جداً في كل مدينة... وقرية وناحية...

مثلاً هنا في الخرطوم... لدينا أيضاً قبة الشيخ (حمد ود أم مريوم)... وقبة الشيخ (خوجلي أبو الجاز).. وقبة الشيخ (حسن ود حسونة)... وغيرها... وفي أم درمان... حيث سكني الأصلي... لدينا قبة الشيخ (قريب الله)... وقبة الشيخ (دفع الله الصائم ديمة) وقبة الشيخ (دفع الله الفرقان)... وقبة الشيخ (حمد النيل)...

ـ هل يمكن أن نرى ما يفعل الناس عند هذه القباب والأضرحة؟!

ـ هذا ما سوف تراه بأم عينك...

في الطريق.. كان سائقي يحدثني عن الكرامات التي سمع بها وعايشها لبعض أصحاب هذه القباب... وكيف أن الناس ينذرون عندها... ويذبحون... ويقدمون الأموال والأطعمة... للقائمين عليها..

عندما اقتربنا من الضريح الأول... كانت مجموعة من الناس يتوجهون إليه... ترجلتُ من المركبة... كان يتقدمهم ثلاثة أو أربعة رجال... يضربون بالطبول... والدفوف... ويرددون أهازيج... حتى إذا بلغوا الضريح وقفوا حوله... يرددون كلاماً لم أتبينه... مع هز الأجسام أماماً وخلفاً... مكثت حتى توقفوا... ثم أتت مجموعة من النساء كل واحدة تحمل صرة... حتى دخلن من باب صغير... واحدة تلو الأخرى ثم بعد فترة قصيرة خرجن...

سألت إحداهن...

ـ هل لك أن تعليمني ماذا فعلت؟!

مسحت وجهها...

ـ الحمد لله... تمكنت من إيفاء نذري للشيخ... فقد نذرت إن أنجبت ابنتي... أن أخرج ألف جنيه... (ما يعادل ٥٠ ديناراً كويتياً أو ١٥٠ دولاراً أمريكيا)... وقد حملت وأنجبت... بحمد الله.

ـ مبروك ... هذا من فضل الله... وأنت تقولين (الحمد لله)...

ـ نعم... ولكن بكرامة الشيخ... وجاهه عند الله... وإلا فقد حملت ثلاث مرات من قبل وكل مرة لا يكتمل الحمل...

لم أكن أظن أنني سأستطيع أن أغير شيئاً من عقيدة تلك السيدة.. ولكن ودعتها قائلاً:

ـ الأمر كله بيد الله... وهذا الشيخ لا يملك شيئاً... السلام عليكم...

تذكرت هذه الحادثة وأنا في مراكش المغرب... زرتها مرة واحدة برفقة صاحبتي...

مراكش مدينة صغيرة... قريبة من الدار البيضاء... أشهر ما فيها... ساحة جامع الفنا... والسوق الشعبي... وبعض القصور التي تحولت إلى فنادق... سألت المسؤول عن خدمة النزلاء في بهو الفندق...

ـ ما الذي يهتم به أهل مراكش لا الذين يزورونها من الأجانب؟!

ـ هنا في مراكش يهتم المغاربة بضريح سيدي (رجال البودالي) وشمالاً هناك ضريح سيدي (بويا عمر).

ـ ولماذا يهتم المغاربة بهذه الأضرحة؟

ـ (سيدي رجال البودالي) يزوره المغاربة للشفاء من الأمراض المزمنة... أما ضريح (بو يا عمر) فللعلاج من الأمراض النفسية والعقلية... لذلك تراه أكثر زحاماً...

نصحنا إن كنا نريد أن نعرف شيئاً عن الأضرحة في المغرب أن نذهب إلى (بويا عمر)... وكان ذلك.

ـ قبة شاهقة تتخللها نوافذ صغيرة وأرض فسيحة يتوسطها قبر مغطى بثوب أخضر بجانبه صندوق حديدي مثبت على الأرض توضع فيه الهدايا (يطلق عليها بالعامية المغربية «المرفودات») وعلى جدران القبة علقت ثلاث ساعات جدارية كلها متوقفة عن الحركة... إشارة إلى أن الوقت لا أهمية له في ضريح (بو يا عمر) هكذا شرح لي أحدهم... على بوابة الضريح التي تحمل يافطة (ممنوع التصوير) يوقفك منظر رجل ستيني يعتبر «الحفيظ» على الضريح... أي المشرف العام على النظام الداخلي للضريح المسؤول عن فتح وإغلاق الضريح بالإضافة إلى تفسير الأحلام..

وهناك مستوصف قرب الضريح لم يعمل منذ ثلاثين سنة... يقولون إن (بوياعمر) يتكفل بشفاء أولاده... أي المرضى الذي يزورونه...

ـ لا أفهم لماذا يتعلق المخلوق... بمخلوق مثله... ولا أفهم لماذا يؤمن مخلوق على قيد الحياة... يستطيع أن يدعو الله... ويتقرب إلى الله... ويسأل الله مباشرة... لماذا يؤمن... بمخلوق... مات.. وأفضى إلى ما قدم... ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً... ولا يملك لأحد زيادة ولا نقصاً.. بل لقد أرم هذا المدفون... وأصبح تراباً... فإن أجساد الموتى.. تصير عظاماً

رميماً.. عدا أجساد الأنبياء... لا بد أن يكون وراء كل هذا أحد يستفيد من جهل الناس وإقبالهم على هذه الأضرحة... لا بد أن يكون من البشر من يزين للجهلة «عبادتهم» لهذه الأضرحة... نعم هذا من عمل الشيطان...

كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (الأنعام).

إن الله يريد منا أن نعبده... بالدعاء... والصلاة والسجود.. والنذر.. والتوكل.. والاستغاثة.. والتوسل.. وبيَّن لنا كيف نعبده.. بإرسال الرسل... لأن العقل البشري إذا أراد أن يجتهد في عبادة الله... فإنه يضل الطريق (لم يخلق الله العقل ليشرع العبادات)، ولا يمكنه أن يفعل ذلك... فمن أراد أن يعبد الله بطريقة لم يشرعها الرسول ﷺ، فإنه يضل... وإن استحسن هذه العبادة على أنها قربة إلى الله... فإن ذلك من تزيين الشيطان... كيف لا يغير المرء عقيدته إلى التوحيد الخالص لله وهو يرى كل هذا الذي لا يرضاه الله عز وجل؟

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (١٤)

لم أزر مصر منذ عشرين سنة... لا أرتاح فيها لكثرة الزحام.. وطريقة التعامل مع البشر التي لا أتقنها.. ولا أتحملها.. مع أن لي ذكريات جميلة عندما زرتها وقضيت بضعة أيام في مزرعة أحد الأصدقاء في المنوفية..

أصر صاحبي أن أكون معه في رحلته إلى مصر لإنجاز عمل... كانت مدة الرحلة ثلاثة أيام... من الأربعاء إلى السبت.. أدينا صلاة الجمعة في الأزهر... ثم ذهبنا إلى «الحسين»... لتناول الغداء في أحد الأماكن الشعبية...

كنا في الزي الخليجي... اقترب منا أحدهم... كان معمماً...

ـ ألا تريدون زيارة الحسين؟!

ـ هل تعتقد حقاً أن الحسين أو جزء من بدنه الطاهر مدفون هنا؟

استغرب صاحبنا..

ـ وهل يشك أحد في ذلك؟!

دعوته لشرب الشاي...

ـ أنا أشك في ذلك... وحتى أكون صريحاً معك... اعتقد أنه يجب على طلبة العلم... والعلماء... والذين تلقوا دراسات شرعية أن يبينوا للناس أنه لا يجوز التبرك بالقبر سواء كان فيه (ولي) أو (شيخ)... أو (صاحب طريقة).. أو حتى (نبي)...

ـ ولكن هذا إرث موجود في تراثنا الإسلامي.. منذ مئات السنين..

ـ أعلم ذلك... ولكن الرسول ﷺ لم يأذن به.. ولم يشرعه بل أمر بإزالته... والحديث عن علي رضي الله عنه... قال لأبي هياج الأسدي... (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) مسلم، ونهى الرسول ﷺ... عن عبادة قبره فقال في الحديث الصحيح: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» وفي الحديث الصحيح أيضاً: «**لا تتخذوا قبري عيداً**»... أي مكاناً للزيارة فترة بعد فترة تعودون إليه...

قاطعني...

ـ ولماذا يقول الناس (حنزور النبي ﷺ)؟!

ـ هذه مقولة العوام... ولكن الصحيح أن المرء يذهب للصلاة في مسجده ﷺ... وإذا كان هناك سلم عليه عند قبره ﷺ... لا أن يترك بلده ليزور قبر النبي ﷺ... مع أننا نعلم يقيناً أين دفن... وأنه في قبره لا تأكله الأرض... ولكننا لا ندعوه عند قبره ولا ننذر له... ولا نقدم القرابين عنده ولا نسأله الشفاعة... فإذا كانت هذه هي تعاليم الرسول ﷺ... وهو أحب مخلوق إلى الله عز وجل وأعظمهم منزلة وجاهاً عند الله تعالى... فمن باب أولى من دونه من آل البيت والأئمة والمشايخ والأولياء...

ـ هل تعلم عدد الأضرحة في القاهرة؟!

ـ ثلاثة؟ الحسين.. السيدة زينب.. السيدة نفيسة...

ـ وأيضاً السيدة عائشة... والسيدة سكينة والإمام الشافعي وضريح الليث بن سعد...

ـ والناس تزور جميع هذه الأضرحة؟!

ـ نعم... وينذرون لها ويقربون القرابين لتقضى حاجاتهم وتتحقق أحلامهم... وتحل مشاكلهم... ويشفى مرضاهم... ومن المعلوم لدينا في مصر أنه كلما كان بناء الضريح فخماً وكلما ازداد اتساعاً ذاع صيت صاحبه وزاد اعتباره وكثر زواره...

ـ هذا في القاهرة ماذا عن بقية المدن؟!

ـ حدث ولا حرج... (البدوي) في طنطا و(إبراهيم الدسوقي) في دسوق... و(أبو المرسي العباس) في الإسكندرية و(أبو الحسن الشاذلي) في حُمَيْثَرة محافظة البحر الأحمر... و(أحمد رضوان) بالقرب من الأقصر و(أبو الحجاج الأقصري) في الأقصر...

وغيرهم كثير... والفلاحون يتكبدون المشاق ويجمعون أموالهم ويجلبون قرابينهم معهم في القطار... لتقديمها عند الأضرحة الأكبر والأشهر..

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله...

كان صاحب المقهى يستمع إلى حوارنا لقربنا من طاولته التي اتخذها لإدارة المحل... شاركنا الحديث...

ـ تصدق بالله... أنا أعرف رجل عاجز... أعمى منذ الولادة... أتوا به

من الصعيد... إلى سيدي (البدوي)... وبعد أن مكث يومين... قام في اليوم الثالث صحيحاً معافى... كأن لم يكن يشكو من شيء...

أجبته...

ـ وهل تعتقد أن الذي شفاه (البدوي)؟

ـ كلا... بالطبع الذي شفاه الله... ولكن بكرامة سيدي (البدوي)... فذبحت القرابين... ووزعت الموائد... وكانت ليلة عظيمة احتفل بها كل من كان هناك... وأقاموا مأدبة كبيرة أكل منها جميع من كان في المزار...

ـ هل تعلم يا أخي العزيز... أن هذا يشبه ما كان عليه كفار قريش الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ...

ـ انتفض... نازعاً (خرطوم) الشيشة من فمه...

ـ أستغفر الله... أولئك كانوا يعبدون حجارة...

ـ كلا لم يكونوا يعبدون الحجارة... دعني... أبيّن لك... تلك الأصنام كانت رموزاً لرجال صالحين ماتوا... فأقاموا لهم رموزاً تذكرهم بهم... حتى يسيروا على تعاليمهم ثم أخذوا يتقربون إلى الله عن طريقهم... اسمع قول الله تعالى...

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (العنكبوت).

ثم يصف الله حالهم:

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ (الزمر).

ففي هذه الآية من سورة الزمر يقول هؤلاء الذين جعلوا بينهم وبين الله واسطة (أولياء)... أنهم لا يعبدون هؤلاء الأولياء وإنما اتخذوهم ليقربوهم إلى الله... لأن الأولياء أقرب إلى الله من العوام... فبواسطة الأولياء... يستجيب الله لدعاء العوام... ويقضي حاجاتهم... هذا الذي زعمه أولئك... فبين الله لهم.. أن هذا غير صحيح.. وأنه كذب وأن الله سيحكم بينهم يوم القيامة... ثم تأمل آية الدعاء...

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ (البقرة).

يرشدنا الله عز وجل أن نتوجه إليه بالدعاء مباشرة دون واسطة ولي ولا إمام ولا شيخ ولا نبي ولا ملك... وهذه الآية... هي الآية الوحيدة في القرآن التي أتى فيها جواب (يسألونك)... دون قوله (قل)... مثلاً:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ (البقرة: ١٨٩).

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ﴾ (البقرة: ٢١٩).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ﴾ (المائدة: ٤).

عدا هذه الآية...

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي...﴾ لم يقل (قل)... وإنما أجاب.. ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾... يجب على العبد أن يتوجه إلى الله مباشرة في الدعاء والذبح والنذر والتوسل والاستعانة والشفاعة... دون واسطة... وإلا يُخشى عليه أن يقع في الشرك الأكبر الذي قال الله عنه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨، ١١٦).

ومن أعظم أسباب خذلان الأمة وذلها وصغارها انتشار الشرك فيها... وتقبُّل هذه المظاهر الشركية وكأن لا منكر وقع... ولو رأيت رجلاً مخموراً لأنكر عليه جميع من يراه ولربما أوجعوه ضرباً... أما أن يروا رجلاً يدعو غير الله ويذبح لغير الله فلا أحد ينكر عليه.. بل ربما اعتبروه من عباد الله الصالحين... وذنب هذا أعظم من ذنب ذلك المخمور... عندما يعلم المرء هذه الحقيقة ألا ينبغي أن يغير عقيدته؟!

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (١٥)

لست من محبي السفر... ومنذ فترة طويلة تركت السفر إلى أوروبا والغرب... وأصبح سفري إلى الشرق... أتوقف في كولومبو (سيريلانكا) ومنها إلى ماليزيا – سنغافورة – الصين – هونج كونج – أندونيسيا... وعادة لا تزيد فترة سفري عن سبعة أيام..

توقفت مرتين في سيرلانكا... قضيت فيها أربعة أيام... رغم جوها المعتدل... وطبيعتها الجميلة... إلا أن خدماتها سيئة... وطرقها لا تصلح للتنقل.. انطلقت إلى (كاندي)... تبعد قرابة (١٠٠) كم شمال كولومبو استغرقت الرحلة أربع ساعات!!

كانت الرحلة في مايو... هناك لديهم معبد أقاموه من أجل (ضرس بوذا)... استقدموه من الهند... زرت المعبد... الناس يتوافدون عليه من جميع أنحاء البلاد... ليطهروا أنفسهم ويقدموا قرابينهم... ويطلبوا حاجاتهم... ولديهم طقوس يومية... في أوقات معينة يخرج الكهنة وتلاميذهم من مساكنهم... يأتون إلى حيث مركز المعبد (الضرس)... والناس يسجدون... ويبتهلون... بالطبع يصحب ذلك قرع بالطبول الضخمة... سجلت كل ذلك على الكاميرا... خرجنا أنا ومرشدي السياحي – في طريق عودتنا إلى كولومبو..

كنا نتواصل بالإنجليزية.. بدأ هو الحديث...

ـ عليك أن تأتي في أواخر يوليو أوائل أغسطس... في هذه الفترة يقام

احتفال كبير... يزينون الفيل الأكبر... ويسير موكب ضخم في جميع أرجاء المدينة حيث يتم إحياء ذكرى قدوم (الضرس)... ويأتي الناس من جميع أنحاء البلاد ومن الدول المجاورة يقضون أياماً يؤدون طقوساً دينية... تقرباً إلى بوذا...

ـ حدثني عن عقيدتك أنت...

ـ أنا أعمل... عقيدتي أن أجمع المال... وأوفر لقمة العيش لزوجتي وابني... وعملي مع الأجانب دائماً... أحاول أن أكون لطيفاً معهم... وأجني أموالاً إضافية... لأجل أسرتي فقط... ولا أفكر كثيراً في الدين... ولا الموت... ولا ما بعد الموت... لدي من متاعب الحياة ما يكفي ليشغل كل وقتي وتفكيري... ابتسمت... بينما تابع حديثه...

ـ وهكذا معظم الشباب... أما أولئك الذين يؤمنون بمعجزات بوذا... ويسعون إلى تقديم القرابين... أغلبهم من الفلاحين الفقراء الذين تربوا على هذه العقيدة...

ـ هل تريد أن تعرف عن عقيدتي أنا؟

ـ لا بأس... لدينا أربع ساعات...

ـ عقيدتي أن الله موجود... وهو الذي خلق السماوات والأرض... وخلق كل شيء... وخلقنا... وأوجدنا على هذه الأرض لنعبده هو وحده... لا نعبد أحداً معه... فضلاً عن أن نعبد غيره وندع عبادته سبحانه...

ـ هذا تقريباً ما يقوله الكهنة هنا...

ـ كلا... هناك فرق شاسع... عندما أقول لك أن الله يريد منا أن نعبده... بيّن لنا كيف نعبده وحده... بمعنى أنه بيّن لنا... كيف نصلي... ومتى نصلي.. وماذا نقول في صلاتنا... وأي انحراف عن طريقة العبادة... يبطلها... بمعنى أنه لا ينبغي للبشر أن يخترع عبادة يتقرب بها إلى الله... وكل عبادة يخترعها البشر... لا توصلهم إلى الخالق الحق... وذلك أن العقل البشري لم يوجد لمعرفة طريقة العبادة... فيستحسن هذه ويترك تلك... هذه مهمة الرسل... فمن عقيدتي أني أؤمن أن الله بعث رسلاً من البشر... يأكلون ويشربون وينامون ويتزوجون... اختارهم الله... وأعطاهم مؤهلات.. ليبلّغوا للبشر طريقة عبادة الله وحده... وكيف يمكن لأي إنسان أن يتقرب إلى الله ويعبد الله... بالطريقة التي يرضاها الله... سبحانه...

وهؤلاء الرسل كانوا مع البشر منذ البداية... تعرف البداية طبعاً؟

ـ نعم... أن آدم كان في الجنة مع حواء ثم نزل إلى الأرض بسبب الخطيئة التي ارتكبها بأكل التفاحة من الشجرة المحرمة... هكذا أخبرني أحد زبائني الأوروبيين وهذه الرواية مقنعة وآمنت بها...

ـ نعم.. هي كذلك لو تركنا بعض التفاصيل.. ثم جاء نوح... وجميع الرسل الذين اختارهم الله ليبينوا للبشر الطريق الصحيح لعبادة الله...

ـ أنت مسلم؟ وتتبع محمد؟

ـ نعم... رسولنا هو (محمد) ﷺ... وقد أرسل إلى العرب أولاً... ولكن رسالته إلى جميع البشر...

ـ متى ولد (محمد)؟...

ـ سنة (٥٧٠) بعد الميلاد..

ـ بوذا ولد سنة (٥٦٠) تقريباً ولكن قبل الميلاد... بينهما أكثر من (١٠٠٠) سنة...

ـ ولكن بوذا لم يكن نبياً مرسلاً من عند الله...

ـ نعم... كان من عائلة مالكة ثرية ثم ترك حياة الثراء والبذخ وأخذ يبحث عن الحقيقة.

ـ هذا الذي أريد أن أصل له... أن الإنسان مهما بلغ من الحكمة والذكاء... لن يصل إلى الحقيقة التي يريدها الله... ولا إلى الطريقة الصحيحة لعبادة الله... وكل من يحاول أن يصل باجتهاده... فإنه ينشأ ديناً... وطريقة... لا توصله إلى رضا الله سبحانه.

مثلاً... هؤلاء الناس الفقراء... يبذلون أموالهم ويتكبدون عناء السفر لأجل أن يأتوا إلى هذا المعبد الذي فيه (ضرس) من بوذا... ويدعون... ويسجدون.. ويتضرعون.. ويؤمنون أن هذا ينفعهم... و(بوذا) مهما بلغ من الحكمة... والصفاء... والنقاء... يبقى بشراً فقد مات عام.. (٤٨٠) ق.م تقريباً عن ثمانين سنة... ومن المفترض في الخالق أنه (حي لا يموت)...

ـ لم يزعم أحد أن بوذا إله...

ـ ولكن الجميع يسجد للتماثيل التي تمثله... وتقدم له القرابين وتسأله... وترجوه... وتتضرع إليه... وهذه كلها عبادات لا ينبغي أن يفعلها الإنسان

إلا لله وحده هذا الذي أريد أن أصل إليه... إن عقيدتي أن الله وحده هو الذي يجب أن تصرف له جميع العبادات لأنه وحده سبحانه... الذي يملك الضر والنفع والرزق والخير... والموت بيده سبحانه.. هو الذي كتب الموت على الجميع... الجميع يموت وهو وحده حي لا يموت سبحانه... ثم هناك إحياء للجميع... كل من يموت سيبعث في يوم ما... نسميه يوم الجزاء.. (يوم الدين)... لينال كل أحد جزاءه على عمله في الدنيا.

ـ هل الاعتقاد في أشخاص طيبين صالحين زاهدين... هل هذا يناقض الإيمان بالله؟!

ـ إذا كان ما يفعله الإنسان لهؤلاء الصالحين هو مما يجب أن يفعله لله وحده.. نعم... وهذا ما يحصل عند كثير من البشر... حتى عندنا في بلاد المسلمين منا من يعتقد بأناس صالحين... فيذهب إلى قبورهم ويدعوهم ويتقرب إليهم... وينذر لهم.. بالطبع لا أحد يقول إن هؤلاء آلهة.. ولا أحد يقول إنه يعبد هؤلاء من دون الله.. ولكن هذه العقيدة بأن هؤلاء الأموات الذين في القبور ينفعون ويقربون العبد من الله ويقضون الحاجات... ويشفون المرضى... بإذن الله... هذه العقيدة شرك... تبطل عبادة البشر...

ـ هنا البشر لا يذهبون إلى قبور الصالحين... وإنما يذهبون إلى تماثيل نصبت ونحتت لتمثل الصالحين... أو تمثل من يعتقدون فيهم وماتوا منذ زمن طويل... ولذلك نرى لبوذا تماثيل كثيرة... أغلبها وهو جالس متربعاً (جلسة التأمل)... وبعضها قائم على رجليه.. وبعضها مضطجع على جنبه... وأظنك تعمل أن له تمثال نائم أيضاً.

ـ نعم أعلم ذلك... ومعظم هذه التماثيل حفرت في الجبال أو نحتت مستقلة عن كل شيء... وتكون عادة ضخمة جداً... وتكلف أموالاً باهظة من قوت الناس أو تبرع الأثرياء... وفي النهاية هو حجر لا يسمع ولا يرى ولا ينفع ولا يضر... لأنه حجر... ولو أقدم أحدهم على كسره لم يفعل شيئاً.

ـ لقد ذكرتني بالتماثيل التي نسفتها جماعة طالبان في أفغانستان... نعم لم تفعل شيئاً.

– وهذا ما فعله نبي الله (إبراهيم)... هل سمعت به؟

– نعم من بعض زبائني...

– نبي الله إبراهيم نشأ في قوم كانوا يعبدون الأصنام فانتهز فرصة عدم وجود أحد عند هذه الأصنام وقدم لهم الطعام... وبالطبع لم تستجب الحجارة لدعوته... فقام بتكسيرها جميعاً عدا أكبر تمثال منهم... حتى يرجع إليه قومه الكفار ليسألوه عن الذي كسر آلهتهم..

فأقام إبراهيم – عليه السلام – الحجة على قومه أن عبادة التماثيل عقيدة باطلة وأنهم يجب عليهم عبادة الله وحده.

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (١٦)

منذ انقطاعي عن السفر إلى أوروبـا... زرت الهند ثلاث مرات.. رحلة علمية واثنتان سياحيتان برفقة صاحبتي ... زرنا بومباي... ودلهي... وأخذنا جولة المثلث الذهبي..

عدد الديانات في الهند (١٨٠) ديانة تقريباً..

الأوسع انتشاراً... الهندوسية... في كل مرة أستأجر مركبة بسائقها الذي يعمل مرشداً سياحياً أيضاً... لم أكن أهتم بزيارة الأماكن السياحية المشهورة مثل تاج محل... وغيره... وإنما الأماكن الشعبية...

ـ ما الذي يمكنك أن تخبرني عنه في الهندوسية؟

ـ هي أقدم ديانة على وجه الأرض... فقد بدأت قبل ميلاد المسيح بـ ١٤٠٠ – ١٦٠٠ سنة..

ـ آسف ولكني أخالفك الرأي.. فمنذ نزل آدم إلى الأرض توالت الرسل والأنبياء على البشر.. وقبل (١٤٠٠ – ١٦٠٠) سنة بعث (موسى وهارون وايوب وشعيب ويوسف ويعقوب). جميعهم عاشوا في هذه الفترة.

ـ لم أكن أعلم ذلك... على أية حال.. الهندوسية لا تنتسب إلى مؤسس معروف وهي ديانة تعرف بتعدد الآلهة... لكل شيء إله... حتى وصل عدد الآلهة إلى (٣٣٠) مليون إله... ـ ربما يكون الرقم رمزياً فقط ـ وهناك إله أكبر لجميع هذه الآلهة هو (البراهما)... وهو كيان مجهول للبشر وله ثلاث تجليات (البراهما) الخالق... و(فينشو) الحافظ و(شيفا) المعاقب..

ـ وماذا عن باقي الآلهة...

ـ هناك مثلاً.. (آدي باراشاكتي)... وهو إله على شكل أم... وهناك (أردهانا ريشفارا)... وهو رمز الإله شيفا وزوجته وهناك (أندرا) إله الحرب وهناك باروتي.. وهي بنت جبال الهملايا وهناك (بهارات ماتا) وهي آلهة تمثل الأم..

قاطعته...

ـ وجميع الناس يعبدون جميع هذه الآلهة؟!

ـ نعم.. يعظمونها... ويتقربون إليها.. يضعون تماثيل وتصاوير ولوحات تمثلها...

ـ وما معنى تمثال المرأة ذات الأيدي... جالسة متربعة وعلى جانبيها عشرة أيدي في أوضاع مختلفة...

ـ لو لاحظت... تجد في يد السيف.. وفي أخرى الدرع.. وفي ثالثة طبق الرز وفي الرابعة القوس... وفي السادسة الصولجان.. وفي السابعة الرمح، وفي الثامنة الحربة.. وفي التاسعة وردة حمراء.. وفي العاشرة زجاجة عطر.. ووراءها أسد.. أو بجانبها... هذه تمثل كل حالات الآلهة.. وربما يكون الوجه على شكل فيل.. وأربعة أيدي أو تجد صورة للآلهة وهي تعزف المزمار وحولها مجموعة من الحملان الوديعة... وربما تبدو لك أنها امرأة وهو في الحقيقة رجل ولكن تزين بأحمر شفاه... وكحل للعينين.

ـ هل تعلم يا (راجو) وهذا الاسم المختصر الذي ارتضاه مرشدنا لأن اسمه مركب وصعب النطق...

أن المشكلة في جميع هذه الأفكار والمعتقدات... أنها من صنع البشر.. ولا يمكن لبشر أن يشرع لبشر.. بكل سهولة ومن المنطقي.. إذا شرع البشر فإنهم يميزون أنفسهم على غيرهم.. ويضعون لأنفسهم امتيازات على غيرهم..

قاطعني...

ـ في الهندوسية الناس طبقات.. البيضاء والحمراء والصفراء والسوداء والسودريون... البيضاء هم القساوسة ورجال الدين (البرهميون) والحمراء الحكام والجنود (الكاشتري) والصفراء الفلاحون والتجار (الفيزيون) والسوداء هم العمال وأصحاب الحرف (السودرا) وأدنى الطبقات هم السودريون وهم خدم (البرهميين) ويلاقون أسوأ وأقسى معاملة ويسمون (الشودرا)..

ـ في ديننا الإله واحد.. لا يتعدد.. لم يلد.. ولم يولد.. ولا زوجة له.. ولا يحتاج إلى زوجة ولا إلى أحد... ولا يأكل ولا ينام.. ولا يحتاج إلى شيء.. قائم بذاته حي لا يموت ويقيم السموات والأرض ويتصرف بهذا الكون بحكمة سبحانه... يعطي ويمنع بحكمة... أرسل الرسل ليبينوا للناس ما يجب عليهم تجاه ربهم... وكيف يعبدوه... وكيف يتعامل بعضهم مع بعض... ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ سبحانه لا يمكن وصفه... إلا بما وصف به نفسه... ولا يمكن رسمه ولا تخيله سبحانه... يعلم كل شيء... ويبصر كل شيء... ويسمع كل شيء... حي لا يموت... وكل شيء غيره يموت...

كنا في طريقنا إلى أحد المعابد... معبد الفئران!!!

ـ ما قصة هذا المعبد؟

ـ اسمه معبد (كارني ماتا)... حيث يعيش أكثر من (٢٠٠٠٠) عشرين ألف فأر... عيشة ملكية.. يقدم لهم أهل هذه القرية.. كل ما تحتاجه من طعام ورعاية... وأصل هذه العقيدة أن الفئران تجسد آلهة اسمها (كارني ماتا) امرأة هندوسية عاشت في القرن الرابع عشر (١٤) الميلادي وعبدها أتباعها لما ظهر عليها من عادات خارقة ثم ماتت وانتقلت روحها إلى الفئران!!!

ـ وهل تؤمن أنت بذلك؟!

ـ كلا ... ولكني أحترم كل دين وكل عقيدة ولا أحتقر أي ديانة مهما كانت...

ـ وماذا بعد... غير الفئران؟!

ـ طبعاً هناك من يعظم البقر... ومن يعظم القرود... في الهند تكاد تجد لكل شيء عبدة وأتباع...

ـ ولكن دعني أسألك بصدق... ألا ينبغي لمن يُعبد أن يكون خالقاً غير مخلوق؟ ألا ينبغي أن يكون حياً لا يموت؟ ألا ينبغي أن يكون الكل يحتاج إليه وهو لا يحتاج إلى أحد ولا يحتاج إلى شيء؟!

مثلاً... عندما تنظر إلى السماء.. والشمس.. ألا تتفكر من خلق هذه السموات.. ومن خلق الشمس.. وكيف خلقت الأرض..

قاطعني...

ـ كلا لم تخطر ببالي هذه الأسئلة...

ـ لماذا تكون بداية تفكيرك القرن السادس عشر قبل الميلاد... لماذا لا تذهب إلى البداية المطلقة... كيف بدأت الحياة على الأرض... من هو آدم.. كيف أنزل إلى الأرض... ولماذا؟

ثم.. ألا ترى أن الجميع يموت؟ ويدفن؟!

ـ الجميع يموت.. وربما يدفن أو يحرق...

ـ وماذا بعد الموت؟ هل تنتهي الحياة بالموت ثم الدفن أو الحرق ونثر الرماد؟! لا يمكن أن تكون هذه هي النهاية.. لا بد أن نخرج من قبورنا... ونحاسب على أعمالنا... فالمظلوم يأخذ حقه من الظالم.. وينال كل أحد جزاء عمله...

ولكن لنرجع إلى نقطتنا الأولى... وهي أن جميع هذه الديانات التي حدثتني عنها.. كلها.. من تشريع البشر... وأنا بشر وأنت بشر.. لماذا نعبد بشراً مثلنا.. يأكلون وينامون.. ويتزوجون.. ويتناسلون.. ويموتون.. أنا أريد أن أتبع تعاليم من خلقني... وذلك أنه أعلم بما ينفعني وما يضرني.. ولذلك هو أحق من يشرع لي.. وهو الوحيد الذي يستحق أن أعبده.. وأسجد له.. وأتقرب إليه.. وأخاف منه.. وأرجوه.. وأدعوه.. لأن بيده مقاليد كل شيء.. أما المخلوق فلا يملك شيئاً من ذلك... فلماذا أعبده؟

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (١٧)

كثير منا لا يميز بين الديانات المختلفة في الهند... ولكن لا يمكن ألا تميز السيخ.. بلبس «العمامة» وإطلاق اللحية... وعدم حلق شعر الراس..

ـ أخبرني ما الفرق بين السيخ والهندوس؟!

كنا في طريق عودتنا إلى الفندق بعد يوم طويل.. بدأ منذ الثامنة صباحاً.. أجابني المرشد...

ـ فرق كبير... أولاً السيخ لا يمثلون أكثر من (٢٪) من الديانات في الهند.. وهي ديانة ناشئة حديثة مقارنة بالهندوس، فقد نشأت في بدايات القرن السادس عشر الميلادي، ولو تمعنت في تعاليمهم تجدها مزيجاً من تعاليم الإسلام والهندوسية...

ـ كيف تنشأ ديانة جديدة بتعاليم جديدة من لا شيء؟

ـ أظنك تعلم أنه بالإمكان في أي وقت أن يخرج أحد الناس بفكرة جديدة ويجد من يتبعه...

كان الطريق مزدحماً وبدأ الليل يبسط ظلمته مع عدم توفر إضاءة جيدة في الشارع..

أحس صاحبي بقلقي..

ـ لا عليك سنصل الفندق بعد نصف ساعة...

ـ إن شاء الله..

تابع حديثه...

ـ أسسها «تاناك: ويدعى «غورو» أي المعلم ومعنى «السيخ» المريد أو التابع... وقد ولد تاناك في عام (١٦٤٩م) في قرية ري بوي دي يلفندي.. (تبعد ٦٠ كيلومتراً عن لاهور) ونشأ هندوسياً... ثم عمل محاسباً عند سلطان أفغاني (سلطانبور)... وتعرف على عائلة مسلمة تخدم هذا الزعيم... فعرف الإسلام ودرس الديانات وزار مكة والمدينة... وجاب البلاد... ثم استقر بالهند وادعى أنه رأى الله!!!.. وبدأ بدعوة جديدة تحت شعار (لا هندوس ولا مسلمون)... وبدأ بنشر السيخية بمزج بين هذا وذاك... وبنى أول معبد في (كارتابور)... وقبل وفاته... عين خليفة له... وله ثوب كتبت عليه سورة الفاتحة وبعض الصور القصيرة...

ـ وهل لهم كتاب مقدس يتبعون؟

ـ نعم كتاب وضعوا فيه تعاليم دينهم... وتوارث الرئاسة عشرة خلفاء آخرهم (غوبند سنغ) (١٦٧٥ – ١٧٠٨) وانتهت سلسلة المعلمين...

ومن تعاليمهم... اتخاذ قطعة من الحديد دليلاً على الشجاعة والصلابة.. وعدم حلق أي شعر وتعظيم البقر وإباحة الخمر...

ـ وماذا تعني (سنغ) عند السيخ؟! (تُلفظ كما يلفظ المصريون حرف الجيم)

ـ تعني (الأسد)... ولذلك لا تجد سيخياً إلا وفي اسمه (سنغ) ثم أصبح كبارهم يتسمون بـ(المهراجا)...

ـ وماذا عن معتقداتهم؟!

ـ أخذوا من الإسلام (الإله واحد).. فالخالق واحد حي لا يموت ويمنعون تصوير الإله (على عكس الهندوس) وأباحوا الخنزير والخمر وحرموا البقر... وأصول دينهم (الكافات) الخمس..

١ – **كيش**: ترك الشعر من المهد إلى اللحد.

٢ – **كازا**: لبس سوار حديدي في المعصم للرجال.

٣ – **كريباك**: لبس تباناً – أشبه بلباس البحر – تحت السراويل لدليل العفة.

٤ – **كانجا**: وضع مشط صغير في شعر الرأس.

٥ – **كاخ**: وضع خنجر صغير للدفاع عن نفسه طوال الوقت.

استغربت هذه المعلومات...

ـ كأنها ديانة حرب... وشر..

ـ نعم هي كذلك.. دين قوة (الأسد) .. و(الأهبة)...

ـ وهل يصلّون أو لهم طقوس معينة للتقرب إلى الله؟

ـ يعتقد السيخ أن ترديد أسماء الإله (الناما) يطهر المرء من الذنوب والتأمل واتباع أوامر المعلم (غورو) وإنشاد الأناشيد (كيرتا) .. تنقي الإنسان...

ـ ولماذا يوجد هذا الجانب (اللاسلمي) عند السيخ؟

ـ أظن لأنهم تعرضوا للاضطهاد من قبل المغول حيث أعدموا اثنين من معلميهم العشرة وخاصة نادر شاه المغولي الذي هاجمهم وألجأهم إلى الجبال والشعاب... ثم قويت شوكة السيخ.. وحكموا البنجاب.. وكانوا على صلة وثيقة بالإنجليز الذين أعطوهم امتيازات خاصة من أراضي زراعية وإيصال المياه لهم فكانوا في رغد من العيش... بعد الحرب العالمية الأولى ألغت الحكومة الهندية امتيازات السيخ مما جعلهم في صدام مع الهندوس، وبلغ هذا الصدام ذروته عندما أمرت أنديرا غاندي (رئيسة وزراء الهند) في شهر يونيو ١٩٨٤م باقتحام المعبد الذهبي في أمرتيساب... ووقع أكثر من (٢٠٠٠) قتيل.. ثم انتقم السيخ لقتلاهم واغتالوا غاندي في ٣١/ ١٠/ ١٩٨٤م.

ـ هذا يفسر جانب العنف عندهم...

ـ نعم..

ـ والآن ما هو وضعهم؟!

ـ لديهم معبد كبير يحجون إليه في مدينة (أمرتيساب) ويسمى (دبار صاحب) أي ديوان السيد الملك... وباقي المعابد تسمى (كرو داوره) أي مركز الأستاذ...

ـ ولكن اسمح لي أن أعلق قبل أن نصل إلى الفندق ونفترق... أصل هذه الديانة... بشري... أي أن أحد البشر.. خطرت له فكرة (لا هندورس ولا مسلمون)... أراد أن يوجد شيئاً جديداً... من هذا وذاك ... وأنا وأنت نعلم أن أي شيء مصدره البشر فيه نقص مهما اجتهد أصحاب الفكرة...

مثلاً... نحن المسلمون تعاليمنا كلها من عند الله.. حتى ما يخبرنا به رسولنا محمد ﷺ هو من عند الله.. هكذا يخبرنا ربنا.. وهكذا يؤكد لنا رسولنا ﷺ... ولذلك تجد تعاليم الدين عندنا مفصلة ودقيقة في كل شيء... نعرف كيف نلبس ونأكل وننام وكيف ندخل دار الخلاء... وكيف نفعل لنتطهر من أي قذر... هذا في الأمور الصغيرة اليومية الحياتية... التي ربما يعتبرها بعض الناس عادات فطرية... ديننا يخبرنا ماذا نفعل في هذه الأمور... ما الشعر الذي ينبغي حلقه... وما الذي ينبغي تركه... كل ذلك بتعاليم من عند الله عز وجل..

فضلاً عن تفاصيل الصلاة... متى نصلي كيف نصلي ماذا نقول في صلاتنا... كيف نصوم... متى... كيف نحج... كيف ننمي أموالنا... وكيف نزكيها... ثم كيف نحقق الإيمان بالله... وما الذي يجب أن نؤمن به من الملائكة واليوم الآخر... وكيف ندعو ربنا... وكيف نتطهر من ذنوبنا... وإذا متنا ما الذي يحصل لنا... وإذا بعثنا ماذا سنرى وكيف سيكون الأمر في ذلك اليوم... كل شيء بالتفصيل... كل هذه التعاليم من عند الله وليست من عند أحد من البشر...

ـ هذا كلام جميل وكل ذلك موجود في كتابكم المقدس؟

ـ أصله نعم موجود في القرآن وتفصيله في أحاديث رسولنا (محمد) ﷺ... وهذا وذاك كله من عند الله... ولدينا طرق علمية لإثبات أن الكلام قاله رسولنا ﷺ أم لم يقله... بمعنى آخر لا مجال لأحد أن يقول قولاً وينسبه إلى (محمد) ﷺ... فهناك قواعد يثبت بها نسبة الكلام إلى محمد ﷺ... لأنه شرع ودين وليس لأحد من البشر أن يتكلم بما شاء في قضايا الشريعة...

ـ هذا كلام جميل...

ـ نعم... نحن والحمد لله.. لدينا دين أراحنا من عناء الضلال والتخبط... كل شيء أتانا مفصلاً من عند ربنا... وتعهد الله أن يحفظ كتابنا المقدس (القرآن)... فتجد طفلاً في أبعد غابات أندونيسيا يرد على شيخ في أقصى صحاري المغرب إذا هو أخطأ في حرف من القرآن... استغرب صاحبي كلامي هذا..

ـ حقاً؟ أم إنك تبالغ قليلاً...

ـ أبداً.. أبداً.. لا أبالغ.. كتاب الله الذي يقرأه الجميع هو ذاته... في جميع بقاع الأرض لا يستطيع أحد أن يغير فيه حرفاً واحداً... وسيبقى كذلك... ولذلك لا أدري لماذا يتعب البشر أنفسهم في تأليف طرق للتطهر من الذنوب والوصول إلى الجنة وعبادة الآلهة ويتبعون تعاليم بشر... فيهم من القصور ما فيهم... ألا ينبغي لكل من يتبع تعاليم بشرية أن يغير عقيدته إلى تعاليم الله عز وجل؟

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (١٨)

من الدول التي زرتها أكثر من مرة (تايلند).. ليست مكاناً للهدوء والاسترخاء خاصة العاصمة (بانكوك)... ولكن فيها الكثير من التنوع السياحي.. في إحدى هذه الزيارات وكنت بصحبة زوجي وابنتي التي لم تكن قد تزوجت بعد...

ـ من أهم المعالم السياحية هنا معبد بوذا "المتكأ" (وات فو).

ومعبد بوذا الزمردي (وات فراكايو) ومعبد الفجر (وات أرون).. ومعبد بوذا الذهبي (وات تري ميت) ومعبد الرخام..

كنا في طريقنا لرؤية (بوذا المتكأ)..

ـ هل هي معابد... تؤدى فيها الطقوس.. أم مجرد معالم سياحية يلتقط فيها السياح الصور التذكارية... ويتجولون في أرجائها؟!

ـ الاثنان معاً.. في هذه المعابد هناك الأساتذة والتلاميذ والقساوسة.. يعيشون ويتعلمون ويتعبدون... ويأتي الناس لتعظيم بوذا... وكذلك يأتي السياح لرؤية كل هذا...

ـ ولماذا يصور أحدهم إلهه.. متكئاً مرة.. وجالساً مرة أخرى... وقائماً مرة ثالثة.. ونائماً مرة رابعة.. ويصنع تماثيل ومجسمات ضخمة... ألا ينبغي أن يكون الإله أعظم من أن يجسمه بشر بتماثيل...

لم يتوقع سائقنا.. ومرشدنا السياحي هذا السؤال...

ـ لا أعلم.. أنا شخصياً لست متديناً.. مع أنه من المفروض أن أكون بوذياً مثل آبائي وأجدادي.. ولكني أعمل لساعات طويلة مع السياح.. وإذا ذهبت إلى هناك مع الذين أرافقهم أؤدي بعض الصلوات... وأقدم مبلغاً زهيداً من المال للمعبد لتغطية احتياجات القائمين عليه...

ـ ولكن بعض هذه المعابد.. كلف ملايين الدولارات.. ويحتاج الكثير من الأموال سنوياً لصيانته...

ـ نعم... الملايين الأولى لبنائها يتبرع بها أصحاب الثروات الكبيرة بالاتفاق مع الدولة... والتكاليف السنوية يمكن تحصيلها من السياحة..

بلغنا معبد بوذا المتكأ.. مستلق على جنبه الأيمن أسند رأسه إلى يده اليمنى.. طوله خمسون متراً وارتفاعه خمسة أمتار... مصنوع من القرميد المغطى بالإسمنت ومطلي بطبقة من الذهب.. وحرص من بناه أن يظهر بصمات أصابع رجليه!!

ـ هذا هو الأقدم في تايلند.. فقد بني عام ١٨٠٠م.. هل تعلم قصة بوذا؟!

ـ مجرد معلومات متفرقة.. هات ما عندك..

ـ اسمه سيداهارثا غوتاما.. ولد عام (٥٦٧) قبل الميلاد... في مملكة صغيرة تحت جبال الهيملايا..

ـ إذن هو رجل ولد.. وعاش.. ومات..

استغرب صاحبي ملاحظتي..

ـ بالطبع .. هو رجل ولد.. وعاش.. ومات.. ولكن لم يكن كباقي البشر.. كان أبوه قائداً عسكرياً.. في العشيرة الشاكية.. تنبأ البراهمة (من الهندوس) بأن بوذا سيصبح إمبراطوراً عالمياً أو حكيماً عظيماً.. رباه والده في القصر الملكي فعاش حياة البذخ، وعندما نضج قام بالزواج من (جوبا).. وأنجبت له طفلاً.. خرج يوماً من القصر ليرى رجلاً مسناً.. وجنازة في طريقها إلى المحرقة.. ورجلاً مقعداً من المرض.. صدم بما رآه من المعاناة... والموت.. قرر الخروج من القصر والعيش في الغابات بحثاً عن إجابة.. لماذا الحياة... ولماذا المعاناة... ولماذا الموت؟

وانضم إلى مجموعة من الهنود، وبدأ رحلة التعلم.. ثم استقر مع معلمين اثنين (أرادا كامالا).. و(أودراكا رامبوترا)... تعلم منهما ولكن لم يقتنع بهما.. ثم خرج مع خمسة من التلاميذ لعيش حياة التقشف... بعد سنة.. تعب من هذه الحياة.. ذهب إلى قرية صغيرة باحثاً عن طعام.. حيث قابل امرأة تدعى (سوجاتا) قدمت له الحليب والعسل فاستعاد قوته.. واغتسل في نهر ليلاجان.. وذهب واستلقى تحت شجرة فيكس (لسان العصفور) وبقي هناك.. حتى استيقظ في اليوم السادس على نجمة في السماء في الصباح الباكر.. فقال (هذا هو التنوير الذي أبحث عنه)... فأصبح بوذا (الحكيم)...

ورجع إلى رفاقه الخمسة... ليعلمهم ما أمره به الخالق... بالحقائق التالية:

الأولى: الحياة توصف بكلمة واحدة هي (دوهكها)... أي الألم

والمعاناة وعدم الرضا.. فالألم مصطلح نبيل.. يقودنا إلى الحقيقة الثانية وهي أن فكرة (نفسي) أو (أنا).. لا قيمة لها على الإطلاق ثم تأتي الحقيقة الثالثة... وهي إيقاف الألم .. يتوقف الألم إذا توقفت الشهوات، وهكذا أصبح بوذا مع رفاقه الخمسة هم نواة هذه الديانة...

علقت عليه.

ـ كأن للرقم خمسة.. مكانة في البوذية..

ـ نعم.. نعم.. هو كذلك .. ومن كلامه..

(اذهبوا أيها الرهبان.. من أجل قلب الكثيرين من أجل مصلحة الكثيرين تعاطفاً مع العالم من أجل الخير من أجل الكسب لأجل الآلهة والرجال).

وأخذ يجوب القرى.. وانتشر خبره فأخذ الملوك والأغنياء بالتبرع له بالمنتزهات والأراضي والحدائق.. ولكنه استمر بالعيش بزهد.. من سن التاسعة والعشرين إلى الثمانين حين توفي في مدينة كوشينجار الهندية... وعند اقتراب موته هلع إليه الرهبان ولكنه استقبلهم مستلق على جنبه الأيمن واضعاً رأسه على راحة يده اليمنى وقال لهم:

(الآن أيها الرهبان أخاطبكم هنا وأقول لكم كل شيء حتماً زائل.. فاعملوا بجد).

ـ إذن هذه هي قصة تمثال بوذا المستلقي..

ـ نعم... والتماثيل الأخرى تمثل حالاته.. من التأمل.. أو النوم .. (الموت).. أو .. القيام بالتعاليم.

عند المدخل قابلت أحد الملتحفين بالثوب البرتقالي.. حليق الراس حافي القدمين.. لم يبلغ العشرين.. طلبت من مرشدي السياحي أن يستوقفه لنلتقط صورة معه.. وكان هدفي أن أتحدث معه.. نجحت الخطة..

ـ كم سنة وأنت تتلمذ في البوذية؟!

ـ منذ كان عمري ست سنوات... مات والدي.. ووضعتني والدتي في عهدة رهبان المعبد.. كنت في معبد آخر.. ولكن كافؤوني لاجتهادي وتميزي... وأتيت هنا منذ سنتين..

ـ هل سمعت عن النصرانية... أو اليهودية... أو الإسلام؟!

ـ نعم... ولكنها ديانات ليست لنا نحن... هي لأقوام آخرين...

ـ هل تعرف الفرق بين تعاليم هذه الديانات وتعاليم البوذية؟!

ـ كلا... ولكن أعلم أنها ليست لنا..

ـ الفرق أن تعاليم هذه الأديان أتت من الرب الذي خلق بوذا... من الخالق.. فهي ليست تعاليم من رجل حكيم.. أو مخلوق متميز... هي من الخالق... الذي خلق جميع الناس بمن فيهم بوذا... ثم من قال لك إن الإسلام لأقوام آخرين... هذه معلومة خاطئة.. الإسلام أتى من الله لجميع الخلق.. لكل من في الأرض.. لأهل الصين.. والهند.. وتايلند وأوروبا.. وأستراليا.. وأمريكا.. للجميع.. لأنه من رب الجميع..

كان صاحبي هو الذي يتولى الترجمة بيني وبين الراهب الصغير.. سألته..

ـ ماذا عن عقيدتكم.. الأساسيات أعني؟

ـ بوذا هو ابن الله.. وهو الذي يخلص البشرية من مآسيها.. ودل على ولادته (نجم بوذا)..

ـ وماذا بعد الموت؟!

ـ لا شيء... الإنسان يجازى على أعماله في الدنيا.. والأرواح تتناسخ.. حسب جزاء الإنسان... إن خيراً انتقلت الروح إلى جسد طيب وإن شراً انتقلت إلى جسد خبيث... وبوذا سيرجع إلى الارض ليعيد البركة فيها...

ـ متى سيرجع؟!

ـ لا أعلم..

ـ وما الغاية من عبادتكم؟!

ـ نحن نصلي لبوذا لنصل إلى (النرفانا) وهي حالة تحطيم الأغلال الدنيوية والإعراض عن الشهوات... وربما الاتحاد بالآلهة...

ـ ومن الإله عندكم؟

ـ لم يجبني..

ـ عقيدتنا تتمحور حول ثلاثة جواهر: الإيمان ببوذا والإيمان بـ(دراما) التي هي تعاليم بوذا والإيمان بالمجتمع البوذي... والآن زعيمنا هو (الدالاي لاما الرابع عشر)...

ـ إن عبادة التماثيل التي ترمز إلى أناس صالحين ليست جديدة على البشرية بل كانت قبل(٣٠٠٠) سنة... كانوا إذا مات رجل صالح نصبوا له رمزاً... ثم صاروا يصلون إليه... فهذه موجودة منذ بدأت البشرية... ولكن

مشكلتي أنا التي أريد لها جواباً... التعاليم التي تتبعها... والصلوات التي تتلوها... هي من تعاليم (بوذا).. ومن كان معه من الرهبان... بمعنى أنها لم تأت من خالق.. إله.. عليم.. حكيم.. حي لا يموت.. خلق الخلق.. ويعلم كل شيء عن النفس البشرية.. ما يصلح لها.. وما يقويها.. وما يضعفها.. ويعلم ماذا في الكون من شياطين.. ومن ملائكة..

قاطعني..

ـ نحن في العالم.. أكثر من خمسمائة مليون بوذي.. نتبع هذه التعاليم.. ولم نتساءل يوماً.. أن مصدرها بشر.. أم مصدرها.. الخالق.. وسنبقى على هذه التعاليم..

ذهب دون استئذان... يبدو أنني تجاوزت الحدود معه... لو تساءلوا... وبحثوا .. لغيروا عقيدتهم!!!

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (١٩)

ـ من النعم العظيمة... بل أعظم نعمة أن يولد المرء مسلماً موحداً لله.. يعرف شريعة الله.. يقوم بواجباته الشرعية.. هذه النعمة.. لا يؤدي حق شكرها أغلب المسلمين.. وذلك لأنهم يتعاملون معها.. أنها أمر طبيعي.. بدهي.. وكما يقولون (لا تعرف قيمة النعمة.. حتى تفقدها)... خلال زياراتي لمشارق الأرض ومغاربها... ورؤيتي... من يعبد الأصنام... ومن يعظم الحيوانات... ومن يسجد للأحجار... ومن يتقرب للجن... ومن يفني عمره في خدمة القبور... أعلم ما نحن فيه من نعمة عظيمة... وأسأله سبحانه أن يعيننا على أداء شكر هذه النعمة كما يحب ربنا ويرضى..

كنت أحاور صاحبي في الطائرة ونحن في طريقنا لأداء العمرة الثالثة هذا العام... وكنا قد اتفقنا أن نعتمر أربع مرات كل سنة...

ـ أظن أن الذين يعتنقون الإسلام من غير المسلمين يعرفون قدر هذه النعمة أكثر منا... لقد قرأت قريباً قصة إسلام يوسف استس.. وتأثرت بها كثيراً..

ـ وما هي قصة إسلامه... لأنني أستمع له أحياناً... ولكن للأسف لم أقرأ قصة إسلامه.

ـ إذن استمع... قصته كما يحكيها هو..

اسمي «يوسف» إستس وقد كان قبل الإسلام – إدوارد إستس، ولدت لعائلة نصرانية شديدة الالتزام بالنصرانية تعيش في وسط غرب الولايات

المتحدة، آباؤنا وأجدادنا لم يبنوا الكنائس والمدارس فحسب، بل وهبوا أنفسهم لخدمة النصرانية، بدأت بالدراسة الكنسية أو اللاهوتية عندما اكتشفت أني لا أعلم كثيراً عن ديني النصراني، وبدأت أسأل أسئلة دون أن أجد أجوبة مناسبة لها، فدرست النصرانية حتى صرت قسيساً وداعياً من دعاة النصرانية، وكذلك كان والدي، وكنا بالإضافة إلى ذلك نعمل بالتجارة في الأنظمة الموسيقية وبيعها للكنائس.

قصتي مع الإسلام ليست قصة أحد أهداني مصحفاً أو كتباً إسلامية وقرأتها ودخلت الإسلام فحسب، بل كنت عدواً للإسلام فيما مضى، ولم أتوان عن نشر النصرانية، وعندما قابلت ذلك الشخص الذي دعاني للإسلام، فإنني كنت حريصاً على إدخاله في النصرانية وليس العكس، كان ذلك في عام ١٩٩١م، عندما بدأ والدي عملاً تجارياً مع رجل من مصر وطلب مني أن أقابله.

لما حضر موعد اللقاء لبست قبعة عليها صليب ولبست عقداً فيه صليب وعلقت صليباً كبيراً في حزامي، وأمسكت بنسخة من الإنجيل في يدي وحضرت إلى طاولة اللقاء بهذه الصورة.

بادرت إلى سؤاله: هل تؤمن بالله؟

قال: أجل... ثم قلت ماذا عن إبراهيم هل تؤمن به؟ وكيف حاول أن يضحي بابنه لله؟

قال: نعم..

قلت في نفسي: هذا جيد سيكون الأمر أسهل مما اعتقدت..

ثم ذهبنا لتناول الشاي في محل صغير، والتحدث عن موضوعي المفضل: المعتقدات.

بينما جلسنا في ذلك المقهى الصغير لساعات نتكلم وقد كان معظم الكلام لي، وقد وجدته لطيفاً جداً، وكان هادئاً وخجولاً، استمع بانتباه لكل كلمة ولم يقاطعني أبداً.

وفي يوم من الأيام كان محمد عبد الرحمن صديقنا هذا على وشك أن يترك المنزل الذي كان يتقاسمه مع صديق له، وكان يرغب أن يعيش في المسجد لبعض الوقت، حدثت أبي إن كان بالإمكان أن ندعو محمداً للذهاب إلى بيتنا الكبير في البلدة ويبقى هناك معنا... ثم دعاه والدي للإقامة عندنا في المنزل، وكان المنزل يحويني أنا وزوجتي ووالدي ثم جاء هذا المصري واستضفنا كذلك قسيساً آخر لكنه يتبع المذهب الكاثوليكي فصرنا نحن الخمسة... أربعة من علماء ودعاة النصارى ومسلم مصري عامي... أنا ووالدي من المذهب البروتستانتي النصراني والقسيس الآخر كاثوليكي المذهب وزوجتي كانت من مذهب متعصب له جانب من الصهيونية، وللمعلومية والدي قرأ الإنجيل منذ صغره وصار داعياً وقسيساً معترَفاً به في الكنيسة، والقسيس الكاثوليكي له خبرة (١٢) عاماً في دعوته في القارتين الأمريكتين، وزوجتي كانت تتبع مذهب البورنجين الذي له ميول صهيونية، وأنا نفسي درست الإنجيل والمذاهب النصرانية واخترت بعضاً منها أثناء حياتي وانتهيت من حصولي على شهادة الدكتوراة في العلوم اللاهوتية النصرانية.

وهكذا انتقل للعيش معنا.

بعد الاستقرار في المنزل بدأنا جميعاً نتجمع حول المائدة بعد العشاء كل ليلة لمناقشة الديانة، وكان بيد كل منا نسخة إنجيل تختلف عن نسخة الآخر.

وكان لدى القسيس بالطبع الكتاب المقدس الكاثوليكي كما كان عنده سبعة كتب أخرى من الإنجيل البروتستانتي، وقد كان مع والدي في تلك الفترة نسخة الملك جيمس.

وركزنا جهودنا لإقناع محمد ليصبح نصرانياً، وكنا نحن النصارى في البيت يحمل كل منا نسخة مختلفة من الإنجيل ونتناقش عن الاختلافات في العقيدة النصرانية وفي الأناجيل المختلفة على مائدة مستديرة، والمسلم يجلس معنا ويتعجب من اختلاف أناجيلنا..

أما أنا فكانت هناك أمور في الإنجيل لم أصدقها لأني كنت أرى التناقضات الكثيرة فيه، فمن تلك الأمور أني كنت أسأل نفسي وغيري: كيف يكون الرب واحداً وثلاثة في نفس الوقت!، وقد سألت القساوسة المشهورين عالمياً عن ذلك وأجابوني بأجوبة سخيفة جداً لا يمكن للعاقل أن يصدقها، وقلت لهم: كيف يمكنني أن أكون داعية للنصرانية. وأعلّم الناس أن الرب شخص واحد وثلاثة أشخاص في نفس الوقت، وأنا غير مقتنع بذلك فكيف أقنع غيري به.

بعضهم قال لي: لا تبيّن هذا الأمر ولا توضحه، قل للناس: هذا أمر غامض ويجب الإيمان به.

وأنا منذ أن كنت نصرانيا وقسيساً وداعية للنصرانية لم استطع أن اقتنع بمسألة التثليث ولم أجد من يمكنه إقناع الإنسان العاقل بها.

أتذكر أنني سألت محمداً فيما بعد: كم نسخة من القرآن ظهرت طوال السنوات (١٤٠٠) الماضية؟

أخبرني أنه ليس هناك إلا مصحف واحد، وأنه لم يتغير أبداً، وأكد لي أن القرآن قد حفظ في صدور مئات الآلاف من الناس، ولو بحثت على مدى قرون لوجدت أن الملايين قد حفظوه تماماً وعلموه لمن بعدهم.

هذا لم يبد ممكناً بالنسبة لي.. كيف يمكن أن يحفظ هذا الكتاب المقدس ويسهل على الجميع قراءته ومعرفة معانيه؟!!

كان بيننا حوار متجرد واتفقنا على أن ما نقتنع به سندين به ونعتنقه فيما بعد.

لما كنا نجلس في بيتنا نحن النصارى الأربعة المتدينون مع المسلم المصري (محمد) ونناقش مسائل الاعتقاد حرصنا أن ندعو هذا المسلم إلى النصرانية بعدة طرق... فكان جوابه محدداً بقوله: أنا مستعد أن أتبع دينكم إذا كان عندكم في دينكم شيء أفضل من الذي عندي في ديني.

قلنا: بالطبع يوجد عندنا.

فقال المسلم: أنا مستعد إذا أثبتم لي ذلك بالبرهان والدليل.

فقلت له: الدين عندنا لم يرتبط بالبرهان والاستدلال والعقلانية..

إنه عندنا شيء مسلّم وهو مجرد اعتقاد محض! فكيف نثبته لك بالبرهان والدليل؟!

فقال المسلم: لكن الإسلام دين عقيدة وبرهان ودليل وعقل ووحي من السماء.

فقلت له: إذا كان عندكم الاعتماد على جانب البرهان والاستدلال فإني أحب أن استفيد منك وأن أتعلم منك هذا وأعرفه.

ثم لما تطرقنا لمسألة التثليث.. وكل منا قرأ ما في نسخته ولم نجد شيئاً واضحاً.. سألنا الأخ (محمد): ما هو اعتقادكم في الرب في الإسلام.

فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (الصمد). تلاها بالعربية ثم ترجم لنا معانيها.. فلم يوجد أوضح ولا أفضل ولا أقوى ولا أوجز ولا أشمل منه إطلاقاً.

ولما أردت دعوته للنصرانية قال لي بكل هدوء ورجاحة عقل إذا أثبت لي بأن النصرانية أحق من الإسلام سأتبعك إلى دينك الذي تدعو إليه، فقلت له: إتفقنا، ثم بدأ محمد: أين الأدلة التي تثبت أفضلية دينكم وأحقيته، قلت: نحن لا نؤمن بالأدلة، ولكن بالإحساس والمشاعر، ونلتمس ديننا وما تحدثت عنه الأناجيل، قال محمد ليس كافياً أن يكون الإيمان بالأحاسيس والمشاعر والاعتماد على علمنا، ولكن الإسلام فيه الدلائل والأحاسيس والمعجزات، التي تثبت أن الدين عند الله الإسلام، فطلب جوزيف هذه الدلائل من محمد والتي تثبت أحقية الدين الإسلامي، فقال محمد: إن

أول هذه الأدلة هو كتاب الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم الذي لم يطرأ عليه تغيير أو تحريف منذ نزوله على سيدنا محمد ﷺ قبل ما يقرب من (١٤٠٠) سنة، وهذا القرآن يحفظه كثير من الناس، إذ ما يقرب من (١٢) مليون مسلم يحفظون هذا الكتاب، ولا يوجد أي كتاب على وجه الأرض يحفظه الناس كما يحفظ المسلمون القرآن الكريم من أوله لآخره.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر).

من ذلك الحين بدأتُ البحث عن الأدلة الكافية، التي تثبت أن الإسلام هو الدين الصحيح، وذلك لمدة ثلاثة شهور بحثاً مستمراً، بعد هذه الفترة وجدت في الكتاب المقدس أن العقيدة الصحيحة التي ينتمي إليها سيدنا عيسى عليه السلام هي التوحيد وأنني لم أجد فيه أن الله ثلاثة كما يدعون، ووجدت أن عيسى عبد الله ورسوله وليس إلهاً، مثله كمثل الأنبياء جميعاً جاء يدعو إلى توحيد الله عز وجل، وأن الأديان السماوية لم تختلف حول ذات الله سبحانه وتعالى، وكلها تدعوا إلى العقيدة الثابتة بأنه لا إله إلا الله بما فيها الدين المسيحي قبل أن يُفترى عليه بهتاناً، ولقد علمت أن الإسلام جاء ليختم الرسالات السماوية ويكملها ويخرج الناس من حياة الشرك إلى التوحيد والإيمان بالله تعالى، وإن دخولي في الإسلام سوف يكون إكمالاً لإيماني بأن الدين المسيحي كان يدعو إلى الإيمان بالله وحده، وأن عيسى هو عبد الله ورسوله، ومن لم يؤمن بذلك فهو ليس من المسلمين.

وبعد كل هذا البحث الذي استمر ثلاثة شهور، قضاها معنا محمد تحت

سقف واحد، بسبب ذلك اكتسب ود الكثيرين، وعندما كنت أراه يسجد لله ويضع جبهته على الأرض، أعلم أن ذلك الأمر غير عادي.

وفي يوم من الأيام طلب صديقي القسيس من محمد أن نذهب معه إلى المسجد، لنعرف أكثر عن عبادة المسلمين وصلاتهم، فرأينا المصلين يأتون إلى المسجد يصلون ثم يغادرون..

قلت: غادروا؟ دون أي خطب أو غناء؟ قال: أجل..

مضت أيام وسأل القسيس محمداً أن يرافقه إلى المسجد مرة ثانية، ولكنهم تأخروا هذه المرة حتى حل الظلام.. قلقنا بعض الشيء ماذا حدث لهم؟ أخيراً وصلوا، وعندما فتحت الباب.. عرفت محمداً على الفور قلت من هذا؟ شخص ما يلبس ثوباً أبيض وقلنسوة؟ كان هذا صاحبي القسيس الكاثوليكي

قلت له: هل أصبحت مسلماً.

قال: نعم أصبحت من اليوم مسلماً.

ذهلت.. كيف سبقني هذا إلى الإسلام.. ثم ذهبت إلى أعلى للتفكير في الأمر قليلاً، وبدأت أتحدث مع زوجتي عن الموضوع، فقالت لي: أظن أني لن أستمر بعلاقتي معك طويلاً.

فقلت لها: لماذا؟ هل تظنين أني سأسلم؟

قالت: لا، بل لأني أنا التي سوف تسلم!

فقلت لها: وأنا أيضاً في الحقيقة أريد أن أسلم.

قال: فخرجت من باب البيت وخررت على الأرض ساجداً تجاه القبلة وقلت: يا رب.. اهدني.

ذهبت إلى أسفل، وأيقظت محمداً، وطلبت منه أن يأتي لمناقشة الأمر معي.. مشينا وتكلمنا طوال تلك الليلة، وحان وقت صلاة الفجر.. عندها أيقنت أن الحقيقة قد جاءت أخيراً، وأصبحت الفرصة مهيأة أمامي.. أذّن الفجر، ثم استلقيت على لوح خشبي ووضعت رأسي على الأرض، وسألت إلهي إن كان هناك أن يرشدني... وبعد فترة رفعت راسي إلى أعلى فلم ألحظ شيئاً، ولم أر طيوراً أو ملائكة تنزل من السماء، ولم أسمع أصواتاً أو موسيقى، ولم أر أضواء..

أدركت أن الأمر الآن أصبح مواتياً والتوقيت مناسباً، لكي أتوقف عن خداع نفسي، وأنه ينبغي أن اصبح مسلماً.. عرفت الآن ما يجب على فعله.

وفي الحادية عشرة صباحاً وقفت بين شاهدين: القسيس السابق (بيتر جاكوب) والذي كان يعرف سابقا بالأب ومحمد عبد الرحمن، وأعلنت شهادتي وبعد لحظات قليلة أعلنت زوجتي إسلامها بعد ما سمعت بإسلامي، كان أبي أكثر تحفظاً على الموضوع وانتظر شهوراً قبل أن ينطق بالشهادتين.

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٢٠)

زرت روما مرة واحدة... حرصت أن أزور الفاتيكان... دخلت إلى إحدى غرف «الاعتراف»... حيث يجلس المعترف وتفتح نافذة خشبية بينه وبين القس... ليعترف بخطاياه... فيستمع إليه القس... ثم يخبره بما يجب عمله... ويبشره بالقبول... انتهينا من الجولة... ونحن في الساحة الكبيرة خارج الكنيسة... كنت مع صاحبتي... اقترب منا أحدهم... بدا أنه من الطلبة الذين يدرسون في إحدى المدارس الكنسية... ليصبح... قساً...

ـ هل أنتما مسلمان؟

ـ نعم... وأنت نصراني؟

ـ أنا من الطلبة الذين يدرسون في هذه المدرسة – وأشار إلى مبنى في الجانب الأيمن من الساحة – لأصبح واعظاً ومعلماً وربما قسيساً مرموقاً... هل لي بمحادثتكم قليلاً...

ـ نعم... تفضل... ولكن دعنا نجلس في هذه المقهى لنتحاور... ذهبنا... رغم اعتراض زوجتي... وعدتها ألا نأخذ وقتاً طويلاً!!!

بادرته...

ـ هل تعلم أن أحد الأمور التي لا أظن أنها صحيحة في دينكم هي (غرفة الاعتراف)...

ـ لماذا؟

ـ لأن كل أحد منا يقع في ذنوب... ويقصر في حق الله.. وربما يخطأ في حق بعض البشر... ثم يريد أن يتوب إلى الله ويصلح الأمور لماذا أحتاج إلى الاعتراف بخطئي إلى بشر مثلي؟!

ـ وكيف يصلح المخطأ أخطاءه؟!

ـ إذا كان الخطأ في حق البشر.. لا بد أن يرجع لهم حقوقهم... إن كانت كلمة سيئة... أو تصرف خطأ... يعتذر لهم.. وإن كان مال أو شيء مادي يرجعه إليهم... وإذا كان التقصير في حق الله... يتوب إلى الله.. ويستغفر.. ويكثر من الأعمال الصالحة... دون حاجة أن يخبر أحداً.

ـ ولكن عامة الناس يحتاجون إلى من يتحدثون إليه... ليرتاحوا...

ـ هذه لا تحتاج إلى غرفة مظلمة صغيرة... ونافذة خشبية مثقبة مزخرفة... أو ستارة... يجلس على الجانب الآخر منها من يستمع إلى خطايا البشر...

إن العلاقة عندنا في الإسلام بين العبد وربه مباشرة... يدعوه مباشرة... يستغفره مباشرة... يلجأ إليه مباشرة.. في أي وقت من ليل أو نهار... وفي أي مكان.. يتضرع العبد إلى الله دون وسيط..

ـ هذه نقطة ثانوية يمكننا تجاوزها...

أحضر النادل طلباتنا... أراد أن يدفع ثمن كوبه فقط.. أخبرته أنه ضيفي وسأدفع الفاتورة كاملة... شكرني...

ـ هل تؤمن بإبراهيم عليه السلام...

ـ بالطبع... أؤمن بإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى وجميع الأنبياء قبلهم منذ نزل آدم إلى الأرض...

ـ جميل... وهل تؤمن أنه أراد أن يذبح ابنه قرباناً لله؟!

ـ نعم أؤمن أنه أقدم على ذبح ابنه (إسماعيل).. تنفيذاً لأمر الله... الذي جاءه في المنام...

ـ كان (إسحاق).. وليس (إسماعيل)...

ـ هذا في بعض كتبكم... ولكن لدينا في القرآن أنه (إسماعيل)..

ـ وهل تؤمن بعيسى وأنه كانت له معجزات وقدرات خارقة للعادة..؟

ـ عيسى ابن مريم عليه السلام من رسل الله... ومن الخمسة الذين ميزهم الله (نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد).. نعم كانت له معجزات خارقة للعادة... وكل نبي كانت له معجزة تثبت نبوته... حتى يصدقه الناس ويؤمنوا به...

ـ ولكن عيسى كان يحيي الموتى؟!

ـ نعم كان يحييهم بإذن الله... وبدعاء الله... والذين أحياهم محدودون في كثير من الروايات أنهم أربعة أشخاص فقط... صديقه عازر... وابن العجوز... وابنة العاشر... وسام ابن نوح... ومسألة إحياء الموتى ليست مقتصرة على عيسى عليه السلام... إبراهيم عليه السلام... أحيا أربعة طيور... بعد تقطيعها... وتوزيع أجزائها على أربعة جبال... اجتمعت

أعضاؤها وطارت... بإذن الله... ولئن كان إحياء من مات معجزة حقاً... فإن الأغرب منه بث الحياة في ما لا حياة فيه... وهذه كانت إحدى معجزات موسى عليه السلام وأنت تعرف ذلك... فإنه كان يلقى عصاه.. فتصير حية تسعى بإذن الله.. ثعبان حقيقي.. يتحرك.. ويأكل.. ويخيف من حوله.. الشاهد أن جميع الأنبياء أيدهم الله بمعجزات.. تناسب عصرهم حتى يثبت نبوته للناس.. وليؤمنوا به رسولاً من عند الله.

ـ ولكن معجزات عيسى عليه السلام مختلفة... فهو يحيي الموتى... ويبرئ الذي ولد أعمى (الأكمه) .. ويشفي المرضى...

ـ كما أخبرتك.. طالما الأمر بإذن الله.. فإن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء... ثم إذا مات النبي تنتهي معجزته... هل تؤمن أنت بمحمد رسول الإسلام...

ـ كلا..

ـ لماذا لا تؤمن به؟! هل تؤمن أن هناك رجل اسمه محمد يتبعه مئات الملايين من البشر اليوم؟!

ـ نعم.. أعلم أن المسلمين يتبعون رجلاً اسمه (محمد) ولكن لم يكن رسولاً من عند الله..

ـ ألم نتفق أن الرسول يثبت رسالته بمعجزة يعطيه الله إياها؟!

ـ بلى... وماذا كانت معجزة (محمد)؟!

ـ معجزة (محمد) ﷺ، معجزة خالدة... لم تنته بعد موته ﷺ... وهي باقية إلى يوم القيامة... وهي (القرآن).

ـ ماذا تعني أن (القرآن) معجزة...

ـ (القرآن) كلام الله... أنزله على محمد ﷺ... وتكفل الله بحفظه إلى يوم القيامة... وتحدى بهذا القرآن العرب والعجم والجن والإنس أن يأتوا بمثله... وحاول كثيرون أن يأتوا بشيء يشبهه... ما استطاعوا.

ـ هل تعني أن القرآن الذي تقرؤونه اليوم هو ذاته الذي كان مع محمد قبل (١٤٠٠) سنة؟

ـ نعم هو ذاته لم يزد حرفاً واحداً.. ولم يتغير حرفاً واحدا... ولم ينقص حرفاً واحداً...

استغرب النصراني..

ـ وهل لديكم – جميع المسلمين – كتاباً واحداً فقط؟

ـ نعم...

ـ ولكنكم فرق مختلفة.. متقاتلة... متنازعة.. لديكم سنة وشيعة.. ودروز... وعلويون... وشافعية.. ووهابية.. وفرق كثيرة لا أعرفها.

ـ هذا كلام غير دقيق.. ولكن حتى بين الفرق المختلفة.. طالما يقول المرء أنه مسلم فلا يملك إلا قرآناً واحداً...

يقرأه من يعيش في غابات أندونيسيا أو في أدغال أفريقيا أو في الصحراء العربية أو في القطب الشمالي أو الجنوبي.. هو قرآن واحد.. وذلك أن القرآن

لا يعتمد على النقل ا لمكتوب وإنما على النص المحفوظ في الصدور.. فقد انتقل إلينا نصاً مقروءاً.. ولذلك عندما يتخصص أحدنا في قراءة القرآن... فإنه يقرأه على متخصص.. وهذا كان قد قرأه على متخصص قبله... إلى أن تصل السلسلة إلى عهد الرسول محمد ﷺ.

ـ هذه معلومة غريبة يجب أن أتأكد منها..

سرَّني أنه علم أن قرآننا واحد...

ـ نحن لدينا عدة نسخ من الإنجيل... يوجد بينها اختلاف...

ـ أراد أن يخفف من الأمر – نعم هناك اختلافات ولكنها بسيطة...

ـ نحن قرآننا لا اختلاف فيه على الإطلاق... ثم هناك قضية أخرى أود أن أتبينها منك...

ـ أنت تؤمن بأن المسيح ولد في (بيت لحم)... وتعلم يوم ميلاده وتحتفل به.. وكذلك يفعل (الأقباط) ولكن في يوم آخر... وكذلك يفعل الأرثوذكس... ثم أنت تقول إنه (ابن الله) وتقول إنه (الله) عندما صعد في السماء... وتقول إن الله الذي في السماء ضحّى بابنه.. بعد أن صلب... ليكفر خطايا البشر... ألا تلاحظ أن هناك غموض... وربما تناقض.. بين هذه المعتقدات مع أنها أساس وركن الديانة النصرانية.

ـ كلا ليس هناك أي تناقض... الله واحد بثلاث أقانيم أو حالات في ذات الجوهر... هناك ثلاث ذوات منفصلة اتحدت وهي: الأب – والابن – والروح القدس.

ـ لم أقرأ تفاصيل هذه العقيدة ولكن استمعت إلى مئات المناظرات وأخبرني إذا ذكرت شيئاً غير صحيح - في دائرة المعارف الأوروبية (عقيدة التثليث ليست موجودة في كتب العهد الجديد ولا في أعمال الآباء الرسوليين ولا عند تلاميذهم الأقربين إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستانتي التقليدي يدّعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان).

ـ هناك نص في الإنجيل: «عمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس» (متى إصحاح ٢٨/ ١٩).

ـ يمكن الرد على هذا النص بعدة أمور..

أولاً: هذا النص ليس في جميع الأناجيل مع أنه ركن وأساس العقيدة..

ثانياً: يجب فهم الكلام الذي قاله المسيح بالرجوع إلى كلامه الآخر كما هو عندنا نرجع النصوص المتشابهة إلى النصوص المحكمة.. ومن النصوص المحكمة ما جاء في إنجيل يوحنا (١٧/ ٣).

(وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته).

ثالثاً: لفظ (ابن)... يجب أن تفهم بالمعنى المناسب مثلاً في متى (٥/ ٩) ويوحنا (١/ ٣٨) (أولاد الله أي المؤمنون باسمه).

ولذلك لفظ (الأب) يجب أن يفهم أنه (الراعي) (المحبوب)... كما

في يوحنا (٢٠/ ١٧) (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) والإنجيل مليء بوصف عيسى عليه السلام بأنه ابن الإنسان: لوقا (١٧/ ٢٢) (١٨/ ٨).. مرقس (٢/ ٢٨).. متى (١٢/ ٣٣) يوحنا (١٩/ ٢٧)..

بالطبع كنت أستعين بهاتفي الذكي لاستخراج كل هذه المعلومات... شعر النصراني أنه لن يفلح في تنصيرنا..

ـ أظن أنه يجب علي أن أغادر لارتباطي بموعد آخر...

ـ سعدت بنقاشك... ولكن تذكر أن الإله لا يمكن إلا أن يكون واحداً.. أحداً.. لا يلد.. ولا يولد...

لماذا يغير عقيدته؟ (٢١)

أول مكان سكنته مع بدء عملي في الجامعة كان شقة بخمسة غرف في الدور الخامس من المبنى الثالث لمساكن أعضاء التدريس في الشويخ... في ذات الدور كان يسكن د. أحمد الربعي (رحمه الله)... ودكتور بولندي... وآخر مصري.. وخامس لا أذكره.. كنت ألقي التحية على جاري البولندي... كلما رأيته.. ويراني أتوجه إلى المسجد للمغرب... ثم أرجع.. وأخرج مرة ثانية لصلاة العشاء... بينما هو يمارس هوايته في لعب كرة المضرب... لم يكن يراني أيام الجُمع.. كان يدرّس في كلية العلوم الإدارية.. مقرر الإحصاء... وبعض مقررات الدراسات العليا.

إلتقينا في نادي أعضاء هيئة التدريس.. مع بداية السنة الثانية له..

ـ يعجبني في الكويت إلتزام أهلها بالعادات والتقاليد.. لقد تعرفت على بعض الكويتيين في بولندا.. والتقيت بعضهم ممن يدرّس في الجامعة في أحد المؤتمرات قررت أن أحضر وأقضي بعض السنوات هنا... لأتعرف على ثقافة جديدة...

ـ وماذا لاحظت خلال العام الذي قضيته هنا؟

ـ أعجبني كثيراً الترابط الأسري.. حتى ضمن العائلة الكبيرة.. أبناء العمومة.. والأجداد.. الجميع يزور الجميع... والكل يعرف الكل.. والأهل جميعاً يتزاورون في المناسبات.. هذه الخاصية لا توجد في مجتمعاتنا... حتى المتدينين منا لا يفعلونها...

ـ نحن نفعلها.. كعادة.. وكأمر ديني!!

ـ هل دينكم فيه تعاليم للاجتماع الأسري!!

ـ بصورة ما.. نعم.. لدينا شيء اسمه (صلة الرحم).. و(بر الوالدين) فمن أعظم ما يتقرب به أحدنا إلى الله.. في ديننا (بر الوالدين) وهو مرتبط بعبادة الله وتوحيده.. و(العاق لوالديه) ... له عقوبة في الدنيا والآخرة.

استغرب صاحبي هذا الأمر..

ـ هل هذه حقيقة أم إنك تبالغ قليلاً فيها؟!

ـ لن أجيبك ولكن خذها مني الآن ثم ابحث عنها في الكتب وستجدها.. وأظنك تحصلت نسخة من ترجمة تفسير القرآن.

ـ نعم.. ولكن لم أقرأ شيئاً بتركيز.. فقط تصفحته..

ـ اذهب واقرأ تفسير... الآية (٢٣) من سورة رقم (١٧)..

ـ سأفعل..

ـ وأيضاً لدينا (صلة الرحيم).. وهي خاصية لا تجدها في أي تشريع آخر.. وهي أيضاً من الأمور العظيمة في شريعتنا ومن أساء فيها له عقاب عظيم.. وإن كان يؤدي واجباته الشرعية.. من صلاة وغيرها..

ـ هذه ميزة.. لا توجد لدينا.. حتى في أوساط المتدينين من أهلنا.. لدي سؤال.. هل حقاً.. تستيقظون قبل شروق الشمس بأكثر من ساعة لتذهبوا إلى المسجد لأداء الصلاة الأولى.. كل يوم؟

ـ نعم... المحافظ منا على صلاته.. يفعل ذلك.. وهي صلاة واجبة على جميع المسلمين، ولكن القليل منهم يحافظ عليها..

ـ أليس في الأمر صعوبة؟!

ـ كلا.. لا صعوبة في الأمر لمن رتب حياته أن تكون في طاعة الله ووفق أوامر الله عز وجل..

ـ ألا يمكن أن يؤجلها الإنسان فيصليها متى ما أفاق؟

ـ كلا.. ولكن إذا فاتته يصليها إذا أفاق ولا ينبغي أن يهمل أداءها في وقتها.. ففي ذلك ذنب عظيم..

ـ هذه من الأمور الصعبة.. مثل امتناعكم عن الأكل والشرب لساعات النهار.. في شهر الصيام...

ـ هذه القضايا التعبدية.. ينبغي على العبد أن يمرن نفسه أن يفعلها.. لأنها أركان الإسلام..

ـ وما أهم ركن في الإسلام؟

ـ التوحيد.. وحدانية الله.. عبادته وحده.. لا شريك له.. ولا مثل له.. ولا ولد له.. ولا كفؤ له.. في جميع أفعاله وصفاته وأسمائه.. متفرد سبحانه.. ليس كمثله شيء.. هو الخالق.. وكل أحد غيره مخلوق.. هذا أهم ركن في الإسلام.. بل في جميع الديانات السماوية.

ـ جميل.. ولكن هل تدري ما أهم شيء ألاحظه في مجتمعكم المسلم؟

ـ ما هو؟

ـ الراحة النفسية.. الطمأنينة.. التماسك الأسري.. قلة الجرائم العنيفة.. الأمان.

هذه قضايا.. أساسية للإنسان.. يحتاج إليها حتى يعيش حياة هادئة..

ـ هذه الأمور كلها نتائج للأحكام الشرعية التي يجب أن نؤمن بها ونمارسها.. بعضنا يمارس جزءاً منها.. ويقصر في الجزء الآخر.. وبعضنا يزيد وبعضنا ينقص..

ـ ولكنكم كمجتمع.. فيه الكثير من التدين.. فإني أسمع صوت الأذان.. في أحيان كثيرة.. وفي كل مكان تقريباً حتى في التلفاز والإذاعة.. وفي رمضان.. تشعر أن الجو العام للبلد تغير تماماً.. أنتم بالنسبة لنا مجتمع متدين..

ـ لو سألتك... لو قررت أن تعتنق الإسلام ـ ما هو أهم شيء يدفعك لذلك؟!!

ـ الراحة الذهنية... والطمأنينة النفسية والتماسك الاجتماعي.. عندما أرى أبنائي حولي كل أسبوع وعندما اجتمع مع إخواني كل جمعة.. وعندما أرى أبناء عمومتي.. وأبناء أخوالي مرتين على الأقل في العام.. هذا شيء رائع. الآن أنا في الخمسين لدي ابنتان.. لم تتزوجا.. ولكن إحداهما هاجرت إلى ألمانيا واستقرت هناك.. والأخرى ذهبت إلى الولايات المتحدة.. والدتي لا زالت على قيد الحياة في بولندا... لم تجتمع أسرتنا..

منذ بلغت الصغرى من بناتي الثامنة عشرة.. ولا أظن أننا سنلتقي.. ولكن ربما إذا توفيت والدتي.. سنحضر جميعاً جنازتها.. إذا رجعت إلى بولندا.. أشعر بالوحدة.. ولذلك أفضل البقاء هنا... لقاءاتنا هناك.. إما في (بار).. لشرب البيرة.. أو.. منتزه مع زملاء العمل يحضر كل منا طبقه.. ولكننا لا نتزاور كجيران.. ولا نلتقي كأهل.. وليس من الواجب على الابن أن يلتزم بوالديه.. ولا على الأخ أن يصل إخوانه.. هذه أمور جميلة.. بل رائعة.. لو قررت أن أعتنق الإسلام، فإني سأفعل لأجل أن أحصل على هذا النوع من الحياة الاجتماعية المستقرة.

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٢٢)

رغم شدة حر النهار.. وطوله في أيام الصيف.. إلا أن صيام رمضان يبقى عبادة مميزة (ممتعة).. وخاصة في لياليه.. يصف لي صاحبي ليالي رمضان في مصر محاولاً إقناعي أن نقضي شيئاً منها هناك..

ـ لا تحاول.. فإني لا أذكر أني كنت خارج الكويت في رمضان منذ أنهيت دراستي.. أي منذ أكثر من ثلاثين سنة.. نعم ربما أكون في العمرة ليوم أو يومين فقط.. وحتى هذه تركتها منذ أكثر من عشر سنين..

ليالي رمضان... ليالي عبادة.. ودعاء.. وقرآن.. يتحصل منها المرء من الإيمان ما لا يتحصله في أي وقت آخر.. وصدق رسول الله ﷺ.. في وصيته لأبي أمامة: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له»... السلسلة الصحيحة.

في إحدى ليالي رمضان.. خرجت من البيت بعد العاشرة بقليل أريد المسجد.. وكانت إحدى العشر الأواخر... إلتقيت جاري (بوناصر) يترجل من مركبته.. بصعوبة.. كان قد رجع من رحلة علاج لظهره... بعد التحية.. والمزاح المعتاد.. وكان متكئاً على عكاز معدني...

ـ أين أنت ذاهب؟

ـ إلى المسجد..

ـ ولماذا؟

ـ لأقرأ القرآن وأصلي.. ثم نقيم الليل .. وندعو ونستغفر ونتعرض لنفحات الله.. لعلها تكون ليلة القدر.. ويكتبنا الله فيمن أعتقهم من النار..

هز رأسه.. غير موافق.

ـ وهل صلى الرسول ﷺ هذه الصلاة التي تصليها؟ وحتى صلاة التراويح.. هل صلاها الرسول ﷺ؟!

ـ نعم.. صلاها الرسول ﷺ.. ثم اجتمع عليه الناس.. فلما زادوا.. في الليلة الثالثة.. لم يخرج عليهم.. وفي الصباح أخبرهم.. (**رأيت ما صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم**) صحيح الجامع الصغير.. ثم بعد وفاته ﷺ انتهت العلة.. وأجمع الصحابة.. بمن فيهم علي رضي الله عنه على إقامتها جماعة في المسجد.. وأنت ماذا تفعل في هذه الليالي؟!

ـ لا شيء.. لأنه لم يثبت شيء عندي.. في الصلاة وقيام هذه الليالي..

ـ ألم يثبت عندك أن ليلة القدر في هذه الليالي؟

ـ نعم ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان..

ـ وماذا عن فضلها؟!

ـ لا أعلم الكثير..

ـ ألم تقرأ في كتاب الأمالي للطوسي... (من صلى ليلة القدر إيماناً غفر له ما تقدم من ذنبه).

وفيه أيضاً.. عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال سئل الباقر.. عن فضل ليلة النصف من شعبان فقال هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر...).

ـ أول مرة أسمع هذا الحديث..

ـ ولكنك قرأت في القرآن ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ (القدر).. ألا تكفي هذه الآية في أن تكون حافزاً للعبد أن يقوم العشر الأخيرة كلها.. فيصيب ليلةً العبادة فيها خير من عبادة ثمانين سنة.. واسمح لي يا أبا ناصر.. أراك في بعض الليالي تبقى في المسجد إلى الفجر.. مع أنه لم ينزل في فضل تلك الليالي قرآن يتلى...

ـ نعم.. أنا أحيي تلك الليالي العشر من محرم.. لما فيها من أحداث وذكريات.. وأمور عظيمة حصلت لآل بيت الرسول الأعظم ﷺ.

ـ جميل.. وأنا معك.. ولكن هل هناك آية واحدة تبين فضل تلك الليالي؟! ودعنا لا نذكر الأقوال والأحاديث لأننا قد نختلف في صحة ثبوتها.

ـ هذه الليالي لا تحتاج إلى آيات ولا أحاديث.. هذه ليالي عظيمة.. يجب على المؤمن إحياؤها..

ـ وكيف تحيي هذه الليالي؟!

ـ بتذكر ما فيها من أحداث.. واسترجاع ما وقع من مصائب.. وإقامة العزاء على من استشهد.. ولعن الظالمين.. والتقرب إلى الله بذكر فضائل آل بيت الرسول ﷺ الذين وصّى بهم رسولنا ﷺ.

ـ لا شك أن الرسول ﷺ أوصى أمته بآل بيته.. والحديث صحيح.. ونؤمن به... (إني أوشك أن أدعى فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز

وجل وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي فانظروني بم تخلفوني فيهما) (الأناؤوط صحيح بشواهده)، ولكن لا مقارنة بين ليالي رمضان وخاصة العشر الأواخر منه.. وبين أي عشر ليالي من العام كله.. ولا حتى ليالي العشر الأول من ذي الحجة حيث يؤدي المسلمون شعيرة عظيمة وهي الحج.. ربما تكون أيام العشر من ذي الحجة... أفضل من أيام العشر الأخر من رمضان.. ولكن دون شك ليال العشر الأخر من رمضان أعظم من ليالي العشر الأول من ذي الحجة.. أما ليالي العشر الأول من محرم.. فلا تدخل في المنافسة بين هاتين المجموعتين..

أخذ (بوناصر) مجلسه على الكرسي الخشبي الكبير أمام منزله.. بينما بقيت واقفاً حتى لا أطيل النقاش وأنا أريد أن أذهب إلى المسجد.. سألني..

ـ وكيف تظهر حبك لآل بيت النبي ﷺ إن لم تحيي العشر الأول من محرم؟

ـ أقسم بالله.. أن حب آل بيت النبي ﷺ جزء من عقيدتي.. وفي عقيدة جميع المسلمين ابتداء من الصحابة... وأولهم أبو بكر الصديق الذي كان يقول.. (ارقبوا محمداً في أهل بيته) (البخاري).. فحب آل البيت وموالاتهم تبع لحب النبي ﷺ.. ولا يشك أحد في حب الصحابة والمسلمين جميعاً لآل بيت النبي ﷺ، ولكن لا ينبغي أن يتعدى الحب إلى الإطراء.. والمبالغة في الوصف والمديح.. ولا حتى للنبي ﷺ.. كما أخبر هو ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده**

فقولوا عبد الله ورسوله» (متفق عليه)... فليس من حب النبي ﷺ القول بأنه يملك إدخال الجنة وإدخال النار.. وليس من حب النبي ﷺ أن يقال إنه يملك مفاتيح الغيب.. ويسير الرياح.. وينزل المطر.. وليس من حب النبي ﷺ.. القول إنه يحيي الموتى من قبورهم.. وأن الملائكة تسبح بذكر اسمه .. كل هذا من المبالغات التي نهى عنها رسول الله ﷺ.. ثم دعني أسألك سؤالاً.. لا نختلف على إجابته أنا.. ولا أنت .. ولا أي مسلم..

ـ هل البكاء عند سماع آيات الله عز وجل أولى أم البكاء عند سماع القصص والروايات.. هل إحياء الليل بقراءة القرآن والصلاة أولى.. أم إحياء الليل بسماع كلام البشر.. والأشعار.. والقصائد.. والرثائيات.. أيهما أحب إلى الله؟.. وأيهما أثوب للعبد؟! وعندما نتحدث عن (ليلة القدر).. فإننا نعظم ليلة عظمها الله.. وذكرها في كتابه.. فلا مجال لأحد أن يقلل من قدرها بفضل الله.. وكذلك أرشدنا الرسول ﷺ إلى قيامها.. وحيث إنها لم تثبت قطعاً أي ليلة هي.. فلِمَ لا يجتهد المؤمن في العشر الأواخر كلها وبذلك يكون قد أصاب ليلة القدر ونال ثواب عبادة أكثر من ثمانين سنة.. فضلاً عن أنه قد يكون فيمن أعتقهم الله من النار في تلك الليلة..

نهض (بوناصر) ليدخل منزله.. سلمت عليه.. ومضيت إلى المسجد..

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٢٣)

منذ احتلال الاتحاد السوفييتي لأفغانستان في ديسمبر ١٩٧٩م وحتى انسحاب قواته في فبراير ١٩٨٩م.. ظهرت الدعوات الجهادية في جميع بقاع الدول الإسلامية والعربية منها خاصة.. ذهبت أعداد كبيرة من الشباب للجهاد في أفغانستان... ثم نشبت حروب أهلية بين الأفغان أنفسهم.. وظهرت (القاعدة).. في عام ١٩٨٨م مع نهاية الحرب الأفغانية لتبدأ سلسلة جديدة من «الحروب الإسلامية»... والحركات الجهادية.. إلى أن ظهرت «الدولة الإسلامية في العراق والشام».. أو «داعش»... ولا زالت الحرب قائمة للقضاء على هذه الدولة.. في أوج الدعوات الجهادية إلتقيت أحد الشباب المتحمس للجهاد.. كان يصلي أحياناً معنا في المسجد.. ولا أشك أنه كان يؤدي بقية الفروض في مساجد أخرى..

ـ هل يمكنني أن أحدثك بصراحة دون أن «تزعل»؟

ـ بالتأكيد..

كان حواري مع (عبدالله).. خارج المسجد بعد صلاة المغرب.. (عبدالله) شاب في عمر أصغر أبنائي.. لم يتجاوز الخامسة والعشرين..

ـ إنكم أيها الأئمة والخطباء.. متقاعسون عن أهم الواجبات الشرعية.. الجهاد في سبيل الله.. تأتون المساجد فتصلون بالناس.. ثم ترجعون إلى نسائكم وأبنائكم وتأكلون الطعام.. وتنامون على الفرش المريحة.. والمجاهدون هناك وضعوا أرواحهم على أكفهم.. وتوسدوا الصخور.. وتلحفوا السماء..

ـ وما المطلوب منا يا (عبدالله)؟

ـ المطلوب واضح.. رفع راية الجهاد في سبيل الله والالتحاق بالمجاهدين.

وكان (أبو عبدالله).. وهو مصلي دائم معي.. يشتكي أنه بعث ابنه للدراسة الجامعية في المدينة.. ثم اكتشف أنه في أفغانستان.. دون علمه.. ثم بعثه للدراسة في قطر.. واكتشف أنه في الشيشان... وقرر في نهاية الأمر أن يحتجز جواز سفره.. وكانت هذه فترة إقامته القصيرة معنا..

ـ وتحت أية راية ترى أن يكون الجهاد؟!

ـ الآن.. يجب أن نكون تحت راية (لا إله إلا الله) ضمن القاعدة وقائدها الذي نذر نفسه للجهاد في سبيل الله..

ـ هل كانت طريقة الرسول ﷺ للجهاد في سبيل الله بهذه الطريقة.. وأنت تقول إن الجهاد ركيزة أساسية في شرع الله.. وأنه ذروة سنام الإسلام.. فإذا كان كذلك فلا بد أن الرسول ﷺ بيّن لنا تفاصيل تطبيق هذه الشعيرة.. فهو ﷺ علمنا كيف نتوضأ.. وكيف نأكل.. وكيف نأوي إلى النوم.. وكيف ندخل الخلاء.. فلا بد أنه علمنا كيف نجاهد في سبيل الله..

ـ نعم.. لقد بيّن لنا الرسول ﷺ.. أنه «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» (متفق عليه).. فهل تحتاج إلى توضيح أكبر من ذلك..

ـ بالتأكيد أحتاج إلى تفصيل أكبر.. هذه العبارة كمن قال في زمن علي رضي الله عنه «لا حكم إلا لله»... هل تعلم قصة هذه العبارة؟!

ـ كلا.. ما هي؟

ـ تعلم أن معاوية رضي الله عنه وأهل الشام طالبوا علياً رضي الله عنه بَقتَلةِ عثمان وأن يأخذوا بحق عثمان رضي الله عنه من قتلته.. وكان رأي علي رضي الله عنه أن تتم البيعة أولاً ثم ينظر في قتلة عثمان.. ووقع القتال بين علي رضي الله عنه – وكان على حق – وبين معاوية رضي الله عنه وأهل الشام معه.. وذلك في موقعة صفين سنة ٣٧هـ.. وقتل في هذه المعركة التي استمرت مئة يوم سبعون ألفاً من المسلمين!!

ولم ينتصر أحد على أحد.. فاتفق الطرفان على (التحكيم) أن يرسل كل أحد من يمثله.. للنظر في حل هذه الأزمة.. فرفض طائفة من جيش علي رضي الله عنه قبوله بالتحكيم وقالوا هذه العبارة (لا حكم إلا لله)..

وكانوا أكثر من ستة آلاف رجل.. فناظرهم.. والرواية عن ابن عباس يقول: خرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن فأتيتهم وهم مجتمعون في دارهم وقت القيلولة... فسلمت عليهم قالوا: مرحباً بك يا ابن عباس فما هذه الحلة؟ (يعيبون عليه) قلت: ما تعيبون علي؟ لقد رأيت رسول الله ﷺ يلبس أحسن منها من الحلل.. ونزلت الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ (الأعراف: ٣٢)...

قالوا: فما جاء بك؟

قلت: أتيتكم من عند صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون فعليهم أنزل القرآن وهم أعلم بالوحي منكم وفيهم أنزل... وليس فيكم منهم أحدا!!

فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله يقول ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (الزخرف).

وقال بعضهم: لنكلمنه ولننظرن ما يقول.

قلت: أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله ﷺ وصهره؟!

قالوا: نقمنا عليه ثلاثاً...

قلت: ما هن؟

قالوا: إنه حكّم الرجال في أمر الله.. وقال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (الأنعام)، وما للرجال حكم.

قلت: هذه واحدة.

قالوا: وأما الأخرى فإنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم (أي لم يأخذ السبايا ولا الغنائم).. فلئن كان الذين قاتلهم كفاراً فقد حل سبيهم وغنيمتهم ولئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم ابتداء...

قلت: هذه الثانية.

قالوا: الثالثة أنه محا نفسه من أمير المؤمنين (أي تخلى عن لقب إمارة المؤمنين في المعاهدة) فهو أمير الكافرين!!

قلت: أعندكم سوى هذا؟

قالوا: حسبنا هذا..

قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترضون؟

قالوا: نعم...

قلت: أما قولكم حكّم الرجال في أمر الله.. فقد حكّم الله الرجال في ثمن ربع درهم وفي الأرنب ونحوه في قوله تعالى...

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ٩٥ ﴾ (الأنعام).

فنشدتكم الله أحكْمُ الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في الدماء وإصلاح ذات البين؟ وتعلمون إن الله لو شاء لحكم في الأرنب ولم يجعل حكمه إلى الرجال وحكّم الله في المرأة وزوجها.. ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥ ﴾ (النساء) فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة..

أَخَرجتُ من هذه؟

قالوا: نعم..

قلت: وأما قولكم.. قاتل ولم يسْبِ ولم يغنم.. أتسْبون أمكم عائشة (عندما قاتلوهم في موقعة الجمل) ثم تستحلون منها ما يستحل من غيرها

من السبي... فلئن فعلتم لقد كفرتم وهي أمكم... ولئن قلتم ليست أمنا لقد كفرتم.. فإن الله يقول..

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ (الأحزاب: ٦).

فإنكم بذلك تدورون بين ضلالتين..

فنظر بعضهم إلى بعض..

قلت: أَخَرجتُ من هذه؟

قالوا: نعم..

قلت: أما قولكم محا اسمه أمير المؤمنين.. فأنا آتيكم بمن ترضون.. عندما كاتب رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو في الحديبية... فقال رسول الله ﷺ: اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله قريشاً.. قالوا: لا والله ما نعلم أنك رسول الله... وإلا ما قاتلناك..

فقال رسول الله ﷺ... اكتب يا علي «هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله»... ومحا كلمة (رسول الله)... فوالله لرسول الله ﷺ خير من علي بن أبي طالب... وما أخرجه ذلك من رسالته..

قلت: أَخَرجتُ من هذه.

فلم يردوا عليه.. ورجع منهم ألفان وبقي أربعة آلاف أبَوا أن يقبلوا الحق.. وأخذوا يقتلون المسلمين وينهبون أموالهم.. فقاتلهم علي في معركة النهروان.

علق عبدالله..

ـ وما علاقة هذه القصة بكلامنا؟!

ـ العلاقة أنه لا ينبغي أن نأخذ الأوامر العامة في القرآن والسنة... ونطلقها.. دون الرجوع إلى العلماء.. ودعني أكمل لك ما حصل بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صهر رسول الله ﷺ المبشَّر بالجنة.. ومن آل البيت.. مع هؤلاء الذين كانوا حفظة لكتاب الله.. وأكثر من الصحابة صلاة وصياماً...

فَفِي الصَّحِيحَيْن - وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ - عَنْ عَلِيِّ بْن أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ حَدِيثًا فَوَاَللَّه لَأَنْ أَخِرَّ مِنْ السَّمَاءِ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ وإذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ وَإِنِّي سَمِعْت رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حِدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ. فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِم: «عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِينَ سَارُوا إلَى الْخَوَارِجِ. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنِّي سَمِعْت رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صَلَاتُكُمْ إلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صِيَامُكُمْ إلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ. يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ. لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ لَنَكَلُوا عَنْ الْعَمَلِ وَآيَةُ**

ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ لَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ» . وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ. فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى آخِرِهِ.

وَفِي مُسْلِم أَيْضًا «عَنْ عُبَيدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ كَاتِبِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الحرورية لَمَّا خَرَجَتْ وَهُوَ مَعَ عَلِيٍّ قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ. فَقَالَ عَلِيٌّ: كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَفَ نَاسًا إِنِّي لَأَعْرِفُ صِفَتَهُمْ فِي هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَا يُجَاوِزُ هَذَا مِنْهُمْ وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى يَدَيْهِ طُبْيُ شَاةٍ أَوْ حَلَمَةُ ثَدْيٍ. فَلَمَّا قَتَلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ طَالِبٍ قَالَ: انْظُرُوا. فَنَظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا. فَقَالَ: ارْجِعُوا فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كَذَبْتُ – مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا – ثُمَّ وَجَدُوهُ فِي خَرِبَةٍ فَأَتَوْا بِهِ حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ».

وفي بعض الأحاديث أنهم كلما استؤصلوا خرجوا مرة أخرى حتى يخرج آخرهم مع الرجال)...

سكت (عبدالله).. تابعت حديثي..

ـ القصد أن العبرة ليست بالاستشهاد بالآيات والأحاديث العامة.. ولكن يجب الرجوع إلى العلماء وخاصة في الأمور التي تهم عامة المسلمين.. وعامة أمة الإسلام.. فإن الضرر الذي يقع على الأمة أعظم من المصلحة التي يراها بعض الأفراد.. لا ينبغي الحديث في الأمور العامة إلا لكبار العلماء.. وبإجماعهم.. حتى تكون الأمة على خير...

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٢٤)

أبلغني أحد المسؤولين في وزارة الأوقاف أن صلاة الجمعة ستتوقف في مسجدنا لإجراء صيانة (جذرية) في المسجد.. كانت آخر جمعة صليناها في بداية شهر مارس.. ومنذ ذلك الوقت – وقد مر شهر كامل ـ لم يستقر أمري على كيفية قضاء صبيحة الجمعة.. في أحد هذه الجمع دعاني صاحبي لتناول الفطور في أحد المطاعم وسط البلد.. وافقت.. وهذه أول مرة في حياتي أتناول فطور الجمعة خارج المنزل.. كانت تجربة جميلة.. خرجنا تمام الثامنة.. كنا هناك خلال نصف ساعة.. جهزت مائدتنا قبل التاسعة..

ـ منذ متى وأنت تكتب في قضايا العقيدة؟

ـ أظن.. منذ استقر مقامي في البلد.. قبل أربع وثلاثين سنة.. بل لم أكتب إلا في العقيدة.. بفضل الله..

لم يعلق صاحبي..

ـ مهما كتب المرء.. وقرأ.. ونشر.. وبيّن .. وخطب.. في العقيدة فإن الموضوع يبقى بحاجة إلى مزيد.. دائماً تجد من يحلف بغير الله.. ومن يعتقد بالأولياء.. ومن يزور الأضرحة وينذر لها ويذبح عندها.. ومن يعتقد بالأبراج.. ومن يؤمن بالأحجار الكريمة.. ومن ينسب الضر والنفع إلى غير الله.. ومن يعتقد بأن بعض المخلوقات تتصرف بالكون.. ومن يؤمن أن النجاة يوم القيامة بيد مخلوق.. من نبي أو إمام أو ولي .. هذه القضايا الشركية وغيرها لا تنتهي في مجتمعاتنا وذلك لقصر الفهم في العقيدة الصحيحة..

كانت المائدة مليئة ـ بفضل الله ـ بما لذ وطاب من أنواع الإفطار الساخن.. والبارد..

ـ لو طلبت منك أن تضع لي خطوط حمراء.. بحيث إذا لم يتخطاها العبد يكون في منجا من الوقوع في الشرك.. والخروج من ملة الإسلام.. لأن الله قال..

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ (النساء: ٤٨).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ (النساء: ١١٦).

ـ سأجتهد إن شاء الله...

أولاً... لا ينبغي صرف عبادة لغير الله.. وخاصة الدعاء.. والنذر والذبح.. لا يمكن أن أقبل عقيدة فيها دعوة أن يكون ذبح أو نذر لضريح.. مهما كان صاحب الضريح.. سواء كان رسولاً.. أو نبياً.. أو ولياً.. أو إماماً.. أو غير ذلك... إن الدعوة لزيارة الأضرحة والاعتقاد بأنها تنفع – ولو بإذن الله كما يقولون – والتقرب لها.. رجاء نفعها.. أعظم ما يقع في عالمنا الإسلامي .. لذا فإن من تربى على هذه الأمور ينبغي أن يغير عقيدته.. لأنها عقيدة تؤدي إلى الشرك بالله عز وجل..

ثانياً: لا ينبغي الاعتقاد بالأشخاص... بمعنى.. لا ينبغي صرف شيء من صفات الله... أو مما اختص الله به إلى نبي مرسل.. ولا إلى إمام معصوم.. ولا إلى ولي مقرب... الله تبارك وتعالى خالق كل شيء.. اختص.. بأسماء وصفات.. ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ

﴿١١﴾ (الشورى).. فلا أحد يملك شيئاً مما اختص الله به... يقول عز وجل مخاطباً رسوله ﷺ... ومحمد رسول الله ﷺ، هو أحب الخلق إلى الله .. وأعظمهم مكانة عند الله.. وأقربهم منزلة لله.. وأخشى الخلق لله.. وأعلم الخلق بالله.. كما قال ﷺ: «**والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**» (متفق عليه)، ومع ذلك يقول الله له..

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ (آل عمران).

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (القصص).

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ (الزمر).

وآيات أخرى... تبين أن المغفرة بيد الله.. والتوبة بيد الله.. والجنة بيد الله.. وكذلك النار.. وأن الجميع يحتاج إلى التثبيت من عند الله.. وأن الشفاعة يوم القيامة بيد الله.. لا يملكها أحد على الإطلاق إلا أن يأذن الله له... ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

لذلك لا ينبغي صرف شيء مما اختص الله به لغير الله.. بمعنى... لا ينبغي أن يتعلق القلب أن شخص النبي محمد ﷺ.. ينقذ يوم القيامة.. بل يرجو العبد أن يتكرم الله عليه فيجعله فيمن يشفع له محمد ﷺ.. ويجعله فيمن يرد حوض النبي ﷺ.. وهذا لا يكون بالأماني... وإنما بالعمل بسنته

ﷺ.. واتباع هديه.. وتعظيم شريعته.. وهذه هي علامات الحب الكبرى... ثم الصلاة عليه دائماً ﷺ... وتقديم حبه على حب غيره من البشر.. إن أهوال القيامة عظيمة... وأعظم الناس خوفاً يوم القيامة الأنبياء.. لعلمهم بالله.. ففي الحديث... «**ونبيكم قائم على الصراط يقول: يا رب سلم يا رب سلم**» (صحيح مسلم).. وليس ذلك لأي أحد غير رسول الله ﷺ.. فالرسول ﷺ لا يملك إلا أنه يدعو الله لأمته.. لا يملك أن يقف على باب الجنة فيدخل من يشاء الجنة.. ولا أن يقف على النار ... فيدخل من يشاء النار.. أبداً.. وليس ذلك لأحد على الإطلاق... وإنما يدعو الرسول ﷺ.. ويشفع.. لمن يأذن الله أن يشفع له... وإلا فإن الرسول ﷺ وهو أعظم البشر مكانة عند الله.. لا يملك من دون الله شيء... فما بالك بمن دونه.. من أئمة .. أو كبار الصحابة.. أو أعظم الأولياء.. لا شك أنهم لا يملكون شيئاً يوم القيامة.. والكل يخاف الله.. ولا يتكلم.. إلا بعد إذنه سبحانه وتعالى.. يوم القيامة عظيم.. هو يوم الدين.. يوم الجزاء.. يوم الميزان.. يوم لا يملك أحد لأحد شيئاً..

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ (الإفطار)..

فالذي يقول لي إنني أتعلق بالمسيح.. أو بمحمد ... أو بأبي بكر.. أو بفاطمة الزهراء.. أو بالسيد الجيلاني.. أو بجبريل.. وهو الذي سيدخلني الجنة.. أقول له.. غير عقيدتك هذه قبل أن تهلك..

وثالثاً: لا ينبغي نسبة تصريف أمور الكون لأحد غير الله.. فلا يسوق الرياح إلا الله.. ولا ينزل المطر إلا الله.. ولا يعلم ما في السماوات والارض

إلا الله.. ولا يرزق إلا الله.. ولا يعطي ويمنع إلا الله.. ولا يقضي الحاجات إلا الله.. فلا ينبغي أن يتعلق قلب المؤمن في أمور دنياه وآخرته إلا بالله.. فلا يسأل إلا الله... ولا يتوكل إلا على الله.. ولا يرجو إلا الله.. فلا ينسب شيئاً من هذه الأمور لغير الله.. فلا يعتقد أن أحداً يرزقه الولد.. بعد أن كان عقيماً، ولا يعتقد أن أحد يشفي مريضة إلا الله... ولا أحد يفرج كربته إلا الله.. ولا أحد يرحم موتاه إلا الله.. فإذا كانت هناك فئة تدعو بشيء من هذا.. أقول لهم.. غير عقيدتك..

ورابعاً: من كان يطعن في القرآن ... وينكر أن الذي بين أيدينا اليوم ذات القرآن الذي أنزله الله على رسولنا محمد ﷺ... بواسطة جبريل عليه السلام... لم يزد عليه حرف ولم ينقص منه حرف.. ومن كان يظن أن الصحابة بدلوا شيئاً من تعاليم الرسول ﷺ.. أو خانوا شيئاً ائتمنهم عليه.. أو خالفوا أمراً أمرهم به.. وخاصة أقربهم للنبي ﷺ.. أبو بكر – عمر – عثمان – علي.. والعشرة المبشرون بالجنة... جميعهم.. نفذوا أوامر الرسول ﷺ ووصاياه .. في حياته وبعد موته... امتنعوا عما نهاهم عنه.. ونفذوا ما أمرهم به.. لم يخن أحد منهم أمانة .. ولم يتقاعس أحدهم من تنفيذ وصايا الرسول ﷺ.. وكانوا جميعاً يحبون الرسول ﷺ أكثر من أنفسهم وأهليهم والناس أجمعين.. وكانوا إخواناً متحابين.. على ما وقع بينهم من خلاف لبشريتهم.. وجميعهم مآلهم إلى الجنة كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (الحجر)، ولم يكذبوا على الرسول ﷺ بشيء.. ولم يرجعوا منافقين بعد موته..

وأزواج النبي ﷺ.. أطهر النساء.. وأعف النساء.. فإن عرض النبي

ﷺ.. وشرفه.. أطهر عرض.. وأزكى شرف.. لم تخنه أي منهن.. وحفظن شرفه.. في حياته.. وبعد موته.. ﷺ... حتى توفاهن الله جميعاً.. وما كتمن علماً لرسول الله ﷺ وما غيرن وصية لرسول الله ﷺ.

وآل بيت النبي ﷺ.. أزكى أهل بيت.. وأطهر نسب.. أوصى بهم الله ورسوله.. وحفظ جميع الصحابة هذه الوصية وأنفذوها في حياة الرسول ﷺ وبعد موته... وهم بشر.. ومن خير البشر.. نحبهم.. ونتولاهم.. وننزلهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها.. ليسوا.. أفضل من الأنبياء والرسل والملائكة.. ولم يكن يوحى إليهم من عند الله بشيء.. وما وصاهم به النبي ﷺ عملوه... ولم يتأخر أحد منهم.. وخاصة علي بن أبي طالب .. عن وصية أوصاه بها الرسول ﷺ.. وكان أحرص الناس على تطبيق تعاليم الرسول ﷺ.. ولم يكن يخاف في الله لومة لائم .. ولم يجتهد بشيء من عنده دون تعاليم الرسول ﷺ.. والصحابة والآل.. أحبوا بعضهم.. ولكنهم جميعاً بشر.. ولا أحد منهم معصوم.. وكلهم كانوا خير الرفقة لخير الأنبياء.. فمن اعتقد بشيء خلاف هذا أقول له (غير عقيدتك)..

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٢٥)

بعد أداء صلاة الظهر في مسجد الجامعة.. وفي طريق عودتي إلى المكتب سلم علي شاب ذو ملامح شرق آسيوية.. لم أعرفه..

ـ أنا الفني الجديد في القسم.. ومع أنك لا تعرفني إلا إني أنا أعرفك.. فقد حرصت على معرفة أسماء جميع أعضاء هيئة التدريس في القسم وخاصة المصلين منهم..

ـ أهلاً وسهلاً..

كنا نتواصل بالإنجليزية..

ـ أنا اسمي (جمال الدين).. هذا الاسم الذي أحب أن أنادى به .. واسمي الرسمي.. الذي يعرفني الجميع به هو (فيليب).. قدمت إلى الكويت منذ ثلاث سنوات.. عملت في إحدى شركات التكييف.. ثم انتقلت إلى الجامعة منذ خمسة أشهر.. أعمل على صيانة الجهاز الجديد في المختبر..

ـ وما قصة إسلامك يا (جمال الدين)؟!

ابتهج لسؤالي.. ولم يخف ذلك..

ـ أنا سعيد جداً أن سألتني هذا السؤال.. أنا من قرية اسمها (ما با لاكا) شمال الفلبين.. عندنا في هذه القرية.. وقرى أخرى كثيرة.. ومدن صغيرة.. جميعنا كاثوليك عندنا طقوس.. هي التي جعلتني أغير عقيدتي.. وأعتنق الإسلام..

ـ وماهي هذه الطقوس؟!

كنا قد وصلنا إلى مفترق طرق.. بين المختبرات ومكاتب أعضاء هيئة التدريس.. رافقته إلى مكتبه في المختبرات.

ـ لدينا فترة صيام.. تعقبها (جمعة الآلام).. أو (الجمعة العظيمة).. وتسمى أيضاً (الجمعة السوداء) و(الجمعة المقدسة) و(الجمعة الحزينة) .. وتتزامن مع عيد الفصح عند اليهود..

قاطعته..

ـ اسمح لي .. بشرح هذا الأمر بشيء من التفصيل.. فإني لا أعلم شيئاً عن تفاصيل النصرانية..

ابتسم لطلبي..

ـ فترة الصيام لدينا تمتد لخمسة وخمسين يوماً.. وبعده يبدأ أسبوع الآلام.. الذين من ضمنه الجمعة العظيمة.. وتوقيت هذه الجمعة يختلف من عام إلى عام.. فهو يوم الجمعة الذي يسبق الأحد بعد ظهور بدر الربيع... ويكون في إبريل .. ففي هذا العام ٢٠١٧ سيكون ١٤/ ٤/ ٢٠١٧م... وأسبوع الآلام هذا يبدأ من السبت.. ويسمى سبت عازر.. وأحد السعف.. واثنين البصخة وثلاثاء البصخة وأربعاء البصخة وخميس العهد (العشاء الأخير) والجمعة العظيمة (موت المسيح) ثم سبت الفرح.. وأحد القيامة.

في هذا الأسبوع يعذب الكاثوليك عندنا أنفسهم.. يمشون في

الشوارع يضربون ظهورهم بالسلاسل... ويحملون صلبان ثقيلة عظيمة الحجم.. ويَدَعون الآخرين يضربونهم ويفعلون بهم ما شاؤوا.. إلى أن يصل بعضهم إلى صلب أنفسهم.. فيثبتون أيديهم وأرجلهم بمسامير على صلبان خشبية ويرفعونها... ويبقون مصلوبين.. في جمعة الآلام.. وذلك تكفيراً لذنوبهم.. وتقرباً إلى الله.. وطلباً لقضاء حاجاتهم.. مثلاً من كان له شخص عزيز عليه مريض مرضاً شديداً فإنه يعذب نفسه رجاء شفاء مريضة.. ومن كان يريد أن يطهر نفسه فإنه يضرب نفسه بالسلاسل.. أمام الناس ليتطهر من ذنوبه... وهكذا.. طقوس فيها من سفك الدماء وجلد البدن.. ما جعلني أفكر.. لماذا يريد مني الرب أن أعذب بدني ليغفر ذنبي؟!... ولماذا يسمح الرب بصلب ابنه لأجل ذنوب البشر؟! ثم التقيت شاباً مصرياً يعمل في شركة أمريكية.. وتعلمت الإسلام... واطمأن قلبي.. والحمد لله.. أسلمت.. وها أنا ذا في الكويت أمارس كافة شعائر دين الله...

ـ ولكن لدى بعض المسلمين شعائر تشبه هذه ... من ضرب الظهور بالسلاسل ... وسفك دماء الرأس بالسيوف أو بآلات حادة.. يفعلونها تقرباً إلى الله تعالى..

ـ أعلم ذلك واشعر بالأسف لهم... إن جمال الإسلام تجده في كل جانب من جوانب التشريع.. ومن أبسط هذه القواعد... ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ﴾ (الحشر: ٧)، لقد تعلمت أول ما تعلمت الإسلام... أنك لا تتقرب إلى الله وفق هواك وما تراه أنت صحيحاً.. وإنما تتقرب إلى الله بما شرع الله.. والذي شرعه الله بيّنه رسول

الله ﷺ... فالعبرة دائماً بما فعله الرسول ﷺ.. وما فعله الصحابة الذين كانوا مع الرسول ﷺ وكل شيء جديد في العبادة لم يفعله ذلك الجيل فليس من الدين.. هذه القاعدة سهّلت علي تعاليم الإسلام... بمعنى أنني قبل أن أفعل أي عبادة أو أمارس أي شعيرة يجب أن أسأل ... هل تثبت عن رسول الله ﷺ؟! هل فعلها الصحابة؟؟ إذا كانت الإجابة (نعم)... فعلتها.. وإذا كانت الإجابة (كلا) لم أفعلها.. قاعدة سهلة يسيرة...

ـ وماذا إذا عملت شيئاً.. وأقرك عليه من هو أعلم منك.. أو ولدت في بيئة تعمل هذا الشيء ومنذ صباك وأنت تراهم..

ـ هذا ما حصل معي بالضبط .. لقد نشأت في بيئة يؤمنون بتعذيب الجسد لأجل تطهير النفس.. ونيل رضا الرب.. ولقضاء الحاجات.. وإظهار الولاء للمسيح.. يعذبون أنفسهم بجلد الظهور بالسلاسل.. ودق المسامير في الأيدي والأرجل للصلب على صلبان خشبية.. فطرتي رفضت هذه القضية.. بدأت أبحث عن الحق.. لم أترك هذه المظاهر فحسب.. وإنما غيرت عقيدتي من النصرانية إلى الإسلام... ولأكون صادقاً معك.. لا أستوعب كيف يقلد بعض المسلمين منهج آبائهم وأجدادهم تقليداً أعمى.. مع أنهم يقرأون العربية وهي لغتهم الأولى... كيف لهم ألا يطلعوا على ما يكتبه العلماء من هدي النبي ﷺ؟! كيف لهم أن يتقربوا إلى الله بأمر لم يشرعه الرسول ﷺ؟.. أظن أن هؤلاء ينطبق عليهم قول الله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ (الكهف).

ثم.. ما هي إجابتهم على حديث الرسول ﷺ... «**من أحدث في أمرنا** هذا ما ليس منه فهو رد» (متفق عليه)..

أنا لا أحفظ الكثير من الآيات.. ولا الكثير من الأحاديث ولكن تعلمت قواعد أساسية منذ دخلت الإسلام.. تعلمت أخطر قضية يمكن أن يقع فيها الإنسان وهي الشرك حتى أتجنبها.. كل ما هو شرك.. تركته.. سواء بالألفاظ أو العبادات.. أو الأعمال.. ثم تعلمت ألا أتقرب إلى الله بما لم يشرع لأن هذا بدعة ... والبدعة لا تزيد العبد إلا بعداً عن الله.. والشيطان يحب للعبد أن يقع في البدع أكثر من حبه أن يقع في المعاصي لأن البدع في الدين توهم الإنسان أنه يتعبد الله.. وهو في الواقع يزداد بعداً من الله..

كنت أستمع باهتمام لهذا المسلم «الجديد» وكيف تأسس بطريقة صحيحة في الإسلام.. سألت الله له ولي الثبات.. والهداية لأولئك الذين يجلدون أنفسهم تقرباً إلى الله تعالى..

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٢٦)

صاحبي من محبي السفر بالمركبة.. ويكره ركوب الطائرات.. ذهب إلى مصر ثلاث مرات بالسيارة.. أما الأردن ودول الخليج جميعها.. فلا يسافر إليها إلا بالسيارة..

اقترح علي أن نذهب إلى الخفجي - المدينة السعودية على حدود الكويت - لقضاء حاجة.. على ألا تزيد فترة الرحلة ذهاباً وإياباً عن ست ساعات.. رافقته.. بدأت رحلتنا بعد صلاة فجر الثلاثاء..

في السفر يجد المرء متسعاً من الوقت للحديث حول قضايا كثيرة... كلانا لا يحب الحديث عن السياسة.. تناولنا قصص الآباء القديمة والمعارك بين القبائل.. وقصائد نبطية.. ومناسباتها.. وأموراً في شرع الله..

- إني أغبطك على أمور كثيرة.. منها نشأتك في بيئةٍ.. ربما لم تكن تساعدك على معرفة العقيدة الصحيحة.. ثم تمكنك القوي من قضايا العقيدة وكتاباتك في العقيدة..

- الحمد لله.. نعم هذه نعمة عظيمة من الله.. وفضل كبير تفضل الله به علي.. وهبة حباني الله بها.. ولكن هل تعلم أن المرء إذا تجرد من التعصب لمذهب الآباء والأجداد يمكن أن يصل إلى الحق.. إذا أخلص النية.. وبذل الجهد..

- ماذا تعني؟!

- أعني أن المذاهب والعقائد التي تخالف ما جاء به الرسول ﷺ لا يمكن

لفطرة سليمة.. متجردة أن تقبلها.. مثلاً.. يقول بعض الناس إن الرسول ﷺ: (أوصى لعلي أن يكون خليفة المؤمنين بعد وفاته ﷺ... ثم بعد ذلك غصب أبو بكر وعمر وباقي الصحابة الإمارة من علي رضي الله عنه... وسكت علي حتى يحقن دماء المسلمين).. هذه القاعدة التي يتبعها بعض الناس ويعتبرونها من المسلمات لا يمكن أن تقوم ولا أن يصح شيء منها لو تجرد العبد من التعصب، وأخذ يناقش الموضوع بالمنطق والعقل وبإخلاص الباحث عن الحق..

أولاً.. شخصية علي بن أبي طالب.. تأبى ذلك.. هذا الرجل القوي الشجاع.. الذي لا يخاف في الله لومة لائم.. والذي تربى في بيت النبوة ليصدع بالحق ويعمل به.. والذي ارتضاه الرسول ﷺ ليكون زوجاً لأحب بناته.. وله من المناقب ما لا يحصى.. يكفيه قول الرسول ﷺ له «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» (صحيح).. هذا الرجل الفذ.. يأتيه الأمر من الرسول ﷺ: (أنت يا علي خليفتي من بعدي ووصيي على الأمة بعد موتي).

فيجتهد.. ليحقن دماء المسلمين ولا يقاتل دون الحق الذي أنزله الله عليه؟!! هل يفعل هذا الأمر أي أحد؟! فضلاً عن أن يكون أمير المؤمنين علي رضي الله عنه؟!.. عندما آل الأمر إليه قاتل من لم يبايعه حتى قُتل في صفين.. أكثر من ستين ألف مسلم.. (٦٠,٠٠٠)!!! لماذا لم يحقن دماء المسلمين ويتنازل عن الخلافة كما فعل في عهد أبي بكر؟!

ولو طالب بالخلافة إنفاذاً لوصية النبي ﷺ.. لما قتل هذا العدد من المسلمين ولا عُشرهم.. ثم.. حتى لو لم يرد أن يسفك دماء المسلمين فإنه

يطالب بالخلافة ويتمسك بها لأنها أمر من عند الله.. ولا يقاتل.. حتى يقتل وهو على الحق.. وقد أظهر أمر الله.. كما فعل (عثمان بن عفان) رضي الله عنه.. فإنه أبى أن يسفك دم أحد.. فجلس في بيته ونهى الصحابة عن قتال من حاصروه.. وقال: (ما كنت لأنزع قميصاً ألبسنيه رسول الله ﷺ).. حتى تسور الغوغاء بيته وقتلوه وهو يقرأ القرآن..

إن الذين يزعمون أن علياً سكت عن حق وأمرٍ أوصى به إليه رسول الله ﷺ إنما يطعنون في هذا الصحابي الجليل أكثر مما يطعنون في أبي بكر وعمر وسائر الصحابة!!

كان المركز الحدودي كما توقعنا... شبه فارغ من المسافرين في الاتجاهين.. أتممنا إجراءات السفر دون الحاجة للنزول من المركبة.. تابعنا حديثنا.. كان صاحبي هو المبادر..

ـ والأدهى من ذلك من يزعم أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ.. وسيدة نساء أهل الجنة.. كانت حاملاً بابنها المحسن فأتى عمر.. عند باب بيتها.. فدفعها .. حتى أسقطت الجنين.. وعلي.. رضي الله عنه.. لم يحرك ساكناً.. سواء كان في منزله.. أو خارج المنزل ثم عاد ليعلم أن ابنه أُسقط.. بسبب دفع عمر رضي الله عنه لفاطمة رضي الله عنها .. أي عقل سليم يقبل هذه الرواية.. علي بن أبي طالب يسكت عن عرضه وشرفه وأهل بيته وابنه وهو الذي خلع باب خيبر بيده واتخذه درعاً يقاتل به؟!!

ـ ولكن هذه الرواية ربما لا يثبتها العلماء..

ـ بل هي في الكتب.. مثل كتاب إثبات الوصية.. «وضغطوا سيدة النساء بالباب حتى أسقطت محسناً» ص ١٤٣... وفي غيره من الكتب.

ـ والله من يرضى بهذه الرواية إنما يطعن بعلي بن أبي طالب قبل أن يطعن بمن رفسها أو ضغطها بالباب... وكيف يرضاها أحد لأمير المؤمنين رضي الله عنه بينما لا يرضاها أحدنا لنفسه!!!

ـ وبعضهم من شدة تعصبه.. وإلغاء فطرته السليمة ولا أقول عقله.. يرضى بالحديث عن شرف رسول الله ﷺ.. وما أعظمه من بهتان.. وهو يقرأ القرآن.. والقرآن يكذبه.. يقرأ أحدهم في سورة الأحزاب الآية (٦) ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾.. ففي هذه الآية وصف صريح بأن أزواج النبي ﷺ أمهات للمؤمنين.. فمن لم يرض بأي منهن أماً له.. في تقديرها وتوقيرها واحترامها.. فإن ذلك لا يضرها بل يخرجه من دائرة (المؤمنين)... فكيف بمن يتكلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه... أو (حفصة) رضي الله عنها.. أو غيرهما من زوجات النبي ﷺ.. نعم.. هن نساء.. يقع منهن من الخطأ ما يقع من البشر.. وعندهن من الغيرة ما عند غيرهن من النساء.. ولكنهن زوجات رسولنا ﷺ.. يبتن معه.. ويأكلن معه.. ويشربن معه.. ويعرفن من أحواله ما لا يعرفه سائر البشر.. ولا شك أن الله اختارهن لرفقة رسوله ﷺ.. فهل يختار الله إلا خير النساء لخير البشر؟!

نعم خديجة بنت خويلد.. أولهن.. وأعظمهن منزلة.. ولكن هذا لا ينقص من قدر الباقيات.. فجميعهن زوجات نبينا محمد ﷺ.. ولو أن أحداً تحدث عن عرض أو شرف أي رجل.. أيامنا هذه.. لما رضي به.. ولغضب.. وثار.. وانتقم ممن تكلم في عرضه.. فما بال بعض الناس يتكلم عن عرض وشرف رسول الله ﷺ... إن التعصب الأعمى يجعل بعضهم يستحل عرض

رسول الله ﷺ ولا يستحل عرضه.. وفي عائشة بالذات أنزل الله ثلاث عشرة آية.. يبرءها في حادثة الإفك التي طار بها المنافقون.. والحمد لله أنها آيات بينات باقيات إلى يوم القيامة... فكيف يتجرأ أحد أن يهمس ببنت شفاه.. تجاه شرف عائشة بنت أبي بكر الصديق.. زوج رسول الله ﷺ.. إن الطعن في عائشة إنما هو طعن برسول الله ﷺ.. وكفر وخروج عن ملة الإسلام.. فمن كانت هذه عقيدته.. نقول له (غير عقيدتك قبل لقاء ربك)..

ـ ومن المسلمات التي لو تجرد المرء من عصبيته.. لاهتدى إلى الصراط المستقيم.. هي.. قضية ردة الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ.. لقد صاحب أبو بكر الصديق رسول الله ﷺ قبل بعثته.. وبعد بعثته حتى وفاته.. وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد أن يدخل أحدهم في الإسلام.. يحب رسول الله ﷺ أكثر من نفسه وماله.. والناس أجمعين.

ـ كان بعضهم يعصي والدته لأجل الإسلام.. ويقتل أباه وأخاه لأجل الإسلام.. ويخرج من ماله وثروته لأجل الإسلام.. هذا الجيل رباه رسول الله ﷺ... نعمَ التربية.. كان أسوتهم في كل شيء.. أحبوا رسول الله ﷺ.. وأطاعوه.. واتبعوا أوامره.. ونزل القرآن يمدحهم.. ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ وفي آيات أخرى كثيرة تبين أحوالهم.. بكل ما فيها.. ومع ذلك كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة... بعضهم... اجتهد فأخطأ يوم أحد.. وبعضهم فَرَّ

يوم حنين.. وبعضهم أراد شيئاً من الغنائم، ولكن هذا البعض.. بيّن الله خطأه.. وقوّمه.. وعفا عنه.. أما الغالبية.. كانوا أبناء الآخرة ولم يكونوا أبناء الدنيا.. ولا يشك أحد أن من تربى على يد رسول الله ﷺ خير ممن تربى على يد غيره.. فمن طعن في الصحابة إنما يطعن فيمن رباهم.. ومن كفّر عامة الصحابة.. فإنما يقع هو في الكفر.. ومن سب الصحابة فإنما يقع في النفاق.. إن كل مدح للمؤمنين في كتاب الله جيل الصحابة أولى من يستحقه.. عندما يقول الله عز وجل:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ (النور)..

إن أولى من يستحق هذا الوصف هم الصحابة... وعندما يقول الله عز وجل:

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ (التوبة).

أحق من يوصف بذلك الصحابة.. وهكذا كل آية فيها مدح للمؤمنين الأولى بها صحابة رسول الله ﷺ.. فكيف يأتي أحد.. فيصفهم.. بالردة.. أو النفاق.. أو غصب حق أمر به رسول الله ﷺ.. أو تغيير شرع نزل به جبريل على رسول الله ﷺ.. من كانت هذه عقيدته نقول له: (غير عقيدتك قبل أن تلقى ربك).

لماذا يغير المرء عقيدته؟ (٢٧)

ـ لقد بعث الله رسوله ﷺ بالحنيفية السمحاء.. دين فيه مكارم الأخلاق وهو ﷺ قدوة كل مسلم في مكارم الأخلاق كما قال تعالى... ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾.. ولذلك نهى ﷺ عن السب.. واللعن.. وقال.. «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان**» صححه الألباني.. وفي صحيح الجامع: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**».. وإذا كان السب في حق الصالحين فإنه من أقبح الأعمال.. وإذا كان في الصحابة.. فإنه أقبح.. فإن كان في خيرة الصحابة كان من علامات النفاق!!

ـ وهل يستحل أحد سب الصالحين.. أو لعنهم؟!

ـ نعم.. بعض الناس يتقرب إلى الله بلعن الصحابة.. وسبهم.. وتكفيرهم واتهامهم بالنفاق.. وخيانة الرسول ﷺ بعد موته.. ولا يتورع عن سب ولعن أفضل الصحابة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما...

ـ ولماذا السب واللعن؟!

ـ من شدة تعصبهم الأعمى.. يظنون أنهم يتقربون إلى الله بالبراءة من أبي بكر وعمر.. لأنهما غصبا حقاً أوصى به رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كنت وصاحبي في طريق عودتنا من رحلة قصيرة إلى مدينة الخفجي الحدودية في المملكة..

ـ أنا لست كثير قراءة.. ولا عميق في الاطلاع على تفاصيل الأمور.. ولكن هناك ثوابت لا ينكرها أحد.. تنفي هذه العقيدة وتنقض هذا المبدأ..

ـ هات ما عندك يا أبا خالد..

ـ علي بن أبي طالب.. صحابي جليل.. شجاع قوي.. لا يرضى إلا بما يرضي الله.. ولا يسكت عن الحق.. ولا يخاف أحداً في الحق.. وقدم نفسه فداءً لرسول الله ﷺ يوم هجرته.. فلا يمكن أن يخذل رسول الله ﷺ.. بعد مماته.. (ولا اجتهاد مع النص).. بمعنى ما كان لعلي أن يجتهد ويتأول مع وجود نص صريح من رسول الله ﷺ.. وما كان له أن ينزع قميصاً ألبسه إياه رسول الله ﷺ..

هذا علي بن أبي طالب.. وما أدراك ما شجاعة علي وقوته.. لقد مكث علي مع أبي بكر وعمر وعثمان.. بعد وفاة الرسول ﷺ.. ثلاثة وعشرين عاماً.. يخدم الإسلام في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.. رضي الله عنه وعن الجميع.. وسمّى من أبناءه: عثمان وأبو بكر وعمر.. وتزوج عدة نساء منهن.. أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لأبي بكر الصديق.. وأكثر من ذلك.. زوج ابنته.. أم كلثوم.. والملقبة بزينب الصغرى زوّجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. أي عقل يقبل أن علياً.. يكره عمر، أو يرى أنه مرتد.. أو غاصب لركن من أركان الدين – (الولاية) – ويزوجه ابنته؟!! والله.. لا يرضاها أحدنا لنفسه أيامنا هذه فكيف يرضاها لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب!!! بلغنا المركز الحدودي وكما كان في رحلة الذهاب كان في رحلة العودة هادئاً.. قليل عدد المسافرين.. أتممنا الإجراءات.. تابعنا حديثنا.

ـ أظن أن الأغلب يتوقف عن لعن أبي بكر وعمر.. ولا يجهر به.. ولكن لا أحد يتورع عن لعن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه.

ـ هؤلاء يجهلون من هو معاوية بن أبي سفيان.. ولنبدأ بأئمة أهل البيت.. الحسن بن علي .. والحسين بن علي رضي الله عنهما – فبعد أن تصالح الحسن مع معاوية.. وذلك في عام ٤١هـ.. مكث الحسين بن علي مع معاوية أمير المؤمنين أكثر من عشرين سنة!! يقاتل تحت رايته.. وينشر الإسلام تحت إمارته.. في كتاب البداية والنهاية:

(عندما استشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – قتله الخوارج – بعد أن كفّروه.. بكى معاوية بن أبي سفيان عندما بلغة الخبر.. وهو يقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون).. فقيل له: (بالأمس كنت تقاتله واليوم تبكيه)؟.. فقال: (ويحك إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسابقة خيره).

ثم اجتمع أهل العراق يريدون مبايعة الحسن فاشترط عليهم (إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت) فارتاب أهل العراق في أمرهم وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال.. فأتوا الحسين ليبايعوه بدلاً منه فرفض.. فاضطروا لمبايعة الحسن.. وتنازل لمعاوية.. وجمع الله المسلمين تحت راية واحدة بمباركة من رسول الله ﷺ.. عندما بشر الحسن فقال: إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) صحيح.. وبقيت راية الإسلام عزيزة خفاقة مجتمعة تحت إمرة معاوية بن أبي سفيان.. عشرين سنة..

فلم يلعن أحد من آل البيت معاوية بن أبي سفيان أبداً.. ولم يرض أحد بسبه.. وكانوا يعلمون أنه كاتب وحي النبي ﷺ.. مِنَ الذين دعا لهم الرسول ﷺ بالهداية..

ـ لماذا لا يبين العلماء هذه الأمور للعامة؟! حتى لا يقع أحدهم في ذنب اللعن.. (فإن لعن المؤمن كقتله) صحيح الجامع.

ـ هذا من التعصب البغيض ومن كتمان العلم الذي لا يرضاه الله سبحانه وتعالى.. وذلك لأن بيان هذا الأمر يهدم بعض أركان العقائد الباطلة..

ـ ومن أين أتت فكرة أن أهل السنة لا يحبون آل البيت ولا يعظمونهم.. والأحاديث الصحيحة تبين مكانتهم والحض على موالاتهم؟!

ـ هذه أيضاً من الأركان التي لو بينها العلماء لهُدِم عمود آخر من أعمدة العقائد الباطلة بل دعني أسرد لك رواية صحيحة لحوار بين ابن تيمية ووزير مغولي...

يقول ابن تيمية: (أخذوني إلى وزير مغولي فسألني: ما تقولون في يزيد؟ فقلت: لا نسبه ولا نحبه، فإنه لم يكن رجلًا صالحًا فنحبه، ونحن لا نسب أحدًا من المسلمين بعينه، فقال: أفلا تلعنونه؟ أما كان ظالمًا؟ أما قتل الحسين؟

فقلت له: نحن إذا ذكر الظالمون كالحجاج بن يوسف وأمثاله نقول كما قال اللّه في القرآن: ﴿**أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ (هود: ١٨) ولا نحب أن نلعن أحدًا بعينه، وقد لعنه قوم من العلماء، وهذا مذهب يسوغ فيه الاجتهاد، لكن ذلك القول أحب إلينا وأحسن.

وأما من قتل الحسين أو أعان على قتله، أو رضى بذلك، فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل اللّه منه صَرْفًا ولا عَدْلًا.

قال: فما تحبون أهل البيت؟

قلت: محبتهم عندنا فرض واجب يؤجر عليه، فإنه قد ثبت عندنا في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال: خطبنا رسول اللّه ﷺ بغَدِير يدعى: خمّا، بين مكة والمدينة فقال "أيها الناس، إني تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه»، فذكر كتاب اللّه وحض عليه، ثم قال »وعِتْرَتِي أهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي».

قلت لمقدم: ونحن نقول في صلاتنا كل يوم: (اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد).

قال مقدم: فمن يبغض أهل البيت؟ قلت: من أبغضهم فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل اللّه منه صرفًا ولا عدلا.

ـ إن عقيدة تدعو لسب الصحابة ... أو تلعن الصحابة وخاصة خيرتهم.. أبي بكر وعمر وعثمان.. والعشرة المبشرين بالجنة.. وعقيدة تطعن بأمهات المؤمنين أو إحداهن وهن زوجات الرسول ﷺ.. وعقيدة تكفّر عموم الصحابة وتتهمهم بالكفر والنفاق والردة.. كل من يدعو إلى مثل هذا ما نقول له...

(غير عقيدتك قبل لقاء ربك).

الفهرس

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	مسؤولية الفرد عن عقيدته	٧
٢	إسلام سلمان الفارسي	١١
٣	كيف نصل إلى الحق	١٩
٤	قصة الأصنام	٢٣
٥	عبادة القبور	٢٨
٦	زيارة الأضرحة	٣٢
٧	مزارات الأولياء	٣٦
٨	الحلف بغير الله	٤١